تأليف
محمد عبدالهادي الحيدر

شهر رمضان

شهر التحوّلات الكبرى

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رمضان شهر التحولات الكبرى

تأليف

محمد عبدالهادي الحيدر

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: رمضان شهر التحولات الكبرى

تأليف: محمد عبدالهادي الحيدر

الناشـــــر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: شعبان/١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

لبنان / بيروت / الغبيري ص ــ ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

الإهداء

إذا كـان الاعـتراف بـالفضل حـقّاً طـبيعيّاً لكـل ذي فـضل وإحسان، وإذا كان الشكـر واجـباً تـجاه كـل صـاحب جـميل ومعروف، فإن من حملتني وهناً على وهن، ووضـعتني كـرهاً ثم سهرت الليالي لرعايتي، وقـامت الأيـام لتـربيتي وتـنشئتي وقاست وما زالت تقاسي مرارة فراقي وبعدي.

ومن كان هو أصل وجودي، ومن ربّـاني صـغيراً وتـعهدني كبيراً، ومن له الفضل عـليَّ بـعد الله عـز وجـل، هـما الأحـقّ للاعتراف لهما بعظيم الفـضل، وجـزيل الشكـر، ووفـاءً لهـما وأداءً أو قضاءً لبعض حقوقهما عليَّ.

أهدي لهما هذا الجهد المتواضع

إلى والدتي ووالدي متعني الله بطول بقائهما

ابنكم محمّد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين والحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد سيّد الخلائق أجمعين وعلى آله الطيّبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

المقدمة

ما زلنا نعيش الأزمات تلو الأزمات ، والمشاكل التي تعقبها هي الأخرى ، على جميع المستويات كأفراد ومجتمعات وأمم .

والسؤال : هل هناك وسيلة للخلاص من كل ذلك ؟ إذ لابد من التفكير لإيجاد المخرج لكل ما نعانيه ، ومن ثم العمل لترجمته على أرض الواقع .

ولعل في شهر رمضان الفرصة الذهبية التي يتم فيها التحول الكبير والانقلاب على الواقع السيّئ وذاك لأنه يشكل الأجواء المناسبة والأرضية الخصبة لصنع تلك التحولات في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم كما أثبت التاريخ ذلك .

فهو يحتوي على فرصة الصفاء الذهني والنفسي والروحي معاً مما يسهل علينا تشخيص الداء الحقيقي ، لنتمكن بعده من وضع الدواء المناسب لكل مرض ، ومن ثم العمل للوصول إلى الواقع الأفضل والأحسن الذي ننال به سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

ومن الغصّة ضياع هذه الفرصة ، كما من الحرمان عدم استغلالها بعد أن دُعينا لها من قبل ربّ العباد .

ولكن كيف يتسنّى لنا ذلك ؟

في هذه الدراسة المتواضعة الإجابة على هذا السؤال المهم ، فتعال أخي الكريم نتعرف على كيفية استثمار هذا الشهر المبارك لخير أنفسنا ومجتمعنا وأمتنا ، وندعو الله تعالى ونبتهل إليه أن يوفقنا لصيامه وقيامه لما فيه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، إنّه سميع مجيب الدعاء .

الاثنين ٩/ ٩ / ١٤١٩هـ

سوريا ـ السيدة زينب عليها السلام

تمهيد

رمضان في القرآن

قبل كل شيء لابد لنا من التعرف على قدر هذا الشهر الفضيل كما عرّفه الله تعالى لنا في كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

فقد شرف الله تعالى شهر رمضان بشرفٍ عظيم، حينما أنزل فيه أعظم كتاب ودستور عرفته البشرية طوال تاريخها، ألا وهو القرآن الكريم.

بل في الأخبار أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل جميع الكتب السماوية على أنبيائه عليهم السلام في شهر رمضان إكراماً وتشريفاً له. فقد جاء

(١) البقرة: ١٨٥.

في الحديث: عن أبي ذر الغفاري ﷺ، عن النبي ﷺ أنّه قال:

«أُنزلت صحف إبراهيم لثلاث مضين من شهر رمضان، وأُنزلت توراة موسى لست مضين من شهر رمضان، وأنزل إنجيل عيسى لثلاث عشر ليلة خلت من رمضان، وأنزل زبور داوود لثمان عشر ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمّد لأربع وعشرين من شهر رمضان»[١].

وقال تعالى: ﴿ **حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِن رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[٢].

وهذه الليلة هي ليلة القدر صاحبة الشأن العظيم والقدر الرفيع، فهي أفضل ليلة من ليالي السنة على الإطلاق عند الله تعالى، حيث تقسم فيها الأرزاق، وتكتب فيها الأعمار، وتقدر فيها الأعمال، وما يجري على الإنسان إلى السنة المقبلة، وقد جعلت العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر لما لها من شأن عند الله تعالى.

وقد بالغ الله تعالى في شأنها حينما قال: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾[٣].

هذا وقد اُختص شهر رمضان بهذه الليلة المباركة، تعظيماً وتشريفاً

---

(١) مجمع البيان / الطبرسي ١: ٤٩٧.

(٢) الدخان: ١ ـ ٦.

(٣) القدر: ٢ ـ ٥.

له على غيره من الشهور.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«اعلم يرحمك الله، أنّ لشهر رمضان حرمة ليست كحرمة سائر الشهور، لما خصّه الله به وفضله، وجعل فيه ليلة القدر، العمل فيها خير من العمل في ألف شهر»[١].

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٤٦٣، ط. مؤسّسة آل البيت عليهم السلام.

رمضان في السنّة

فشهر رمضان في السنّة الشريفة لا يقل شأناً وشرفاً عـمّا هـو فـي القرآن الكريم ، فقد تظافرت الروايات ، بل تواترت في بيان شرفه عن بقية الشهور ، وهنا نذكر غيضاً من فيض كثير من الأخبار.

ففي ثواب الأعمال عن أبي بصير عن أبي جـعفر عليه السلام قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما حضر شهر رمـضان وذلك فـي ثـلاث بـقين مـن شعبان ، قال لبلال : نادِ في الناس ، فجمع الناس فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«أيها الناس ، إنّ هذا الشهر قد حضركم وهو سيد الشهور ، ليلة فيه خير من ألف شهر ، تغلق فيها أبواب النار ، وتفتح فيها أبواب الجنان ، فمن أدركه فلم يغفر له فأبعده الله...»[1].

وفي عيون أخبار الرضا عنه ، عن آبائه ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال :

---

(١) ثواب الأعمال / الصدوق: ٩٠.

«إنّ رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم...»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ لجمع شهر رمضان لفضلاً على جمع سائر الشهور، كفضل رسول الله ﷺ على سائر الرسل»[2].

---

(١) سفينة البحار / القمّي ٥ : ٢٢٥ (مادّة: صوم).

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٢٦.

الفصل الأوّل

التحوّل الروحي

هوية رمضان

أبواب الرحمة الواسعة

العلاقة من جديد

الرصيد المفتوح

نحو مستقبل أفضل

العيد لمن أمن الوعيد

هويّة رمضان

كثير منّا يجهل هويّة شهر رمضان الذي جعله الله تعالى سيّد الشهور وأفضلها ؛ ونتيجة لذلك ساد بين الكثير من الناس مفهوم خاطئ لهوية هذا الشهر العظيم ، يتناسب مع أهوائنا وشهواتنا .

فالكثيرون يفهمون شهر رمضان بأنه فرصة يقضي فيه الإنسان أفضل أيام وليالي لهوه ولعبه في سهراته وسمراته ، حيث نوادي اللهو واللعب ... ومقاهي الغفلة ... والمجالس المليئة بشتى أنواع المعاصي والآثام من مشاهدة الستلايت بما يحتويه من الفضائيات الشرقية والغربية .

وحيث اللعب بالورق والأونو و ... وغيرها من أدوات اللهو المستحدثة الكثيرة ، وحيث الأحاديث التي لا تخلو من الغيبة والتعرض إلى أعراض الناس والتقاذف بالكلام الباطل والمزاح المخلّ بالآداب وغير ذلك كثير ....

هذا هو ـ للأسف الشديد ـ واقع فهمنا لهذا الشهر العظيم ، ومن هنا وحتى لا نضيع فرصة شهر رمضان الذهبية ، لابد لنا من التعرف على

هويته الحقيقية لنتمكن من استغلاله في الطريق الصحيح ، وهذا لا نجده إلّا في النصوص الدينية .

فشهر رمضان شهر الرحمة والألطاف الإلهية التي تعم جميع أرجاء الكون ، وشهر التوبة والغفران ، وشهر توزيع الجوائز العظمى على جميع الناس ، وشهر التزود بالتقوى والعمل الصالح .

ولهذا فإنّ « شهر رمضان ، شهر ذو شخصية لامعة له مميز خاص وطابع معين ، لأنه شهر يؤثر في حياتنا ويحورها ، ومن هنا كانت شخصيته التي لايدانيه فيها أي شهر.... وهو انتفاضة روحية وتوحيد للشعور المادي بين المسلمين ، وتأهيب سنوي لكافة الفئات والعناصر... وشهر رمضان شهر التربية ، والرياضة العملية ، ومصحح لمعالجة الغرائز والضمائر والأرواح »(١) .

فعلى هذا الأساس يجب أن نعرف هوية شهر رمضان ، وبهذا المفهوم يجب أن نعيه ، ونصحح مفهومنا الخاطئ عن هذا الشهر الفضيل « مما يستدعي المراجعة الذاتية لما يجب أن نقوم به في هذا الشهر الكريم ، وما هو مشروع العمل اللائق بهذا الشهر المبارك الذي يسجل حضوره عندنا شهادة كونية لا يمكن إبراء الذمة تجاهها بسهولة يوم نقف بين يدي رب العباد في وقفة نحن مدعوون لها مهما طال بنا المقام في هذه الدنيا »(٢) .

---

(١) حديث رمضان : ٢٩.

(٢) مجلّة الثقافة الإسلاميّة : العدد ٣٠ ، الدكتور علي التميمي .

أبواب الرحمة الواسعة

كثيرون هم الذين يتمادون في طريق الغي والضلال ؛ لأنهم فقدوا أمل العودة إلى طريق الصلاح والهداية ، الناشئ من اليأس من أن تشملهم الرحمة الإلهية لعظيم ما اقترفوه من معاصي وآثام جسام .

ولكن في شهر رمضان ـ على وجه الخصوص ـ فإن الأمل يتجدد بشكل كبير وسحابة اليأس تنقشع ، وذلك مع تفتح أبواب الرحمة الإلهية الواسعة ، التي تضخ الأمل والتفاؤل في نفوس العصاة والمذنبين ـ بل وأيضاً الطامعين والراغبين في الدرجات العليا ـ للظفر بالرحمة التي تعم أرجاء الكون بأكمله ، وهذا بعد أن اختار الله تعالى شهر رمضان ليكون شهر الرحمة والرضوان العظيم .

ففي الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام قال : « ... **وأن الله عزّ وجلّ ينزل في شهر رمضان من الرحمة ألف ضعف ممّا ينزل في سائر الشهور ، ويحشر شهر رمضان في أحسن صورة ...** »[1].

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ٦٦٣ .

وعن النبي ﷺ لما حضر شهر رمضان قال:

«**سبحان الله، ماذا تستقبلون؟ وماذا يستقبلكم؟**» قالها ثلاث مرات، فقال عمر: وحيٌ نزل أو عدو حضر؟ قال ﷺ: «**لا، ولكن الله تعالى يغفر في أول رمضان، لكل أهل هذه القبلة**»، قال: ورجل في ناحية القوم يهز رأسه، ويقول: بخ بخ، فقال النبي ﷺ: «**كأنّك ضاق صدرك مما سمعت**»، قال: لا والله، يا رسول الله، ولكن ذكرت المنافقين، فقال النبي ﷺ: «**المنافق كافر، وليس للكافر في ذا شيء**»(١).

وفي أمالي الشيخ المفيد ﵀ عن النبي ﷺ في حديث طويل أنّه قال: «**... يقول الله تبارك وتعالى في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات هل من سائل فأعطيه سؤله، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، من يقرض المليء غير المعدم، الوفي غير الظالم**».

قال: «**وإنّ لله تعالى في آخر كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان ليلة الجمعة ويوم الجمعة، أعتق في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار، وكلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر شهر رمضان أعتق في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أوّل الشهر إلى آخره...**»(٢).

---

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٤٢٥.

(٢) أمالي الشيخ المفيد: ١٤٣، المجلس ٢٧.

فكم هي الرحمة الإلهية ؟ وبأي سعة تكون ! إنّها الرحمة التي وسعت كل شيء في الكون والوجود.

من هنا وفي ظل هذه الرحمة اللامحدودة ، لابد لنا نحن الغارقين في مستنقع الذنوب والآثام والمعاصي ، أن نقف مع أنفسنا ـ لا سيما ونحن نعيش في بركات هذا الشهر الكريم ـ وقفة تأمل نحاسب فيه أنفسنا ، ونكبح جماحها.

فإلى متى سنظل في وحل المعصية ؟! أما آن لنا أن نرجع ونتوب إلى ربنا وخالقنا ، الذي فتح لنا أبواب الرحمة والغفران الواسعة في هذا الشهر على وجه الخصوص ؟ فهو يحرق الذنوب ويسقطها عن الصائمين ، فعن نبينا الأعظم ﷺ :

«سمي رمضان ؛ لأنّه يرمض ذنوب عباد الله»[1].

ولا يزال رب العباد يدعو للولوج والدخول إلى أبواب الرحمة والكرم الإلهي حيث الخلاص والنجاة من العذاب العظيم.

إنّها الفرصة التي قد لا تعود وتتجدد ـ في العام المقبل ـ فمن الحرمان والخسران أن تفوتنا دون أن نغتنمها !

ومن التعاسة والشقاء أن لا ندخل باب الأمان بعد أن فتح لنا ، فلنبادر قبل فوات الأوان ، وقبل الندم والحسرة ، وقبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ

(١) تفسير مواهب الرحمٰن ٣ : ٢٧.

يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

(١) الزُّمر: ٥٦ ـ ٥٨.

العلاقة من جديد...

لا يزال العبد يعيش القطيعة مع ربه وخالقه ورازقه ، والمتفضل عليه بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، طوال عامه ، بل وأغلب حياته وعمره ، نتيجة الغفلة والاغترار بزخرف هذه الدنيا الفانية .

وفي شهر رمضان فرصة العود والعلاقة من جديد مع رب العباد ، فأبوابه مشرعة لمن أراد الفوز بالقرب من ساحته المقدسة ، بعد أن جعلنا من ضيوفه وأهل الكرامة عليه .

قال رسول الله ﷺ :

«... هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله...»[1] .

ففي هذا الشهر الكريم باستطاعتنا قطع المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن الله عزّ وجلّ ، إذا توجهنا إليه بقلوب خاشعة ونيات صادقة .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٩٥ .

ومن الخسارة والحرمان أن يخرج شهر رمضان دون أن نحقق من هذا الهدف شيئاً يذكر.

ومن العجيب أننا في علاقتنا البشرية نقدم الغالي والنفيس في سبيل أن نظفر بالقرب من ذوي المسؤوليات الحكومية، أو ذوي الوجاهات الاجتماعية... وكم هي النشوة التي تغمر نفوسنا حينما يلتفت لنا أحد هؤلاء بنظرة سريعة أو بكلمة عابرة، فنحسب أن ذلك يزيد من شرفنا ومكانتنا عند الناس.

ولكن وعلى العكس من ذلك في علاقتنا مع رب العباد، وملك الملوك، وجبار السماوات والأرض، لا نسعى للتقرب والزلفى إليه بمثل ذلك، مع أن الشرف الحقيقي لا يوجد إلا في العلاقة معه، فمن الخطأ أن نطلب الشرف الزائف بالقرب من العباد، في حين نغفل عن مثل ذلك الشرف الحقيقي الذي ليس فوقه شرف ورفعة.

وفي شهر رمضان ـ على وجه الخصوص ـ تتوفر الفرصة العظيمة لتصحيح هذا المفهوم الخاطئ أوّلاً، والسعي لتحقيق هذا الهدف العظيم ثانياً، وذلك من خلال الأعمال العبادية التي أكدت عليها الشريعة المقدسة، وأهمها ـ بالطبع ـ عبادة الصوم «لأن الصيام يعيد نفوس الصائمين لتقوى الله،... وفيه البشارة بأن الصوم يوجب الوصول إلى مقام المتقين الذي هو مقام الصدّيقين، وهو من أقرب المقامات إلى حريم كبرياء رب العالمين. والسر في ذلك واضح، فإن الصوم من أقوى الوسائل في كف النفس عن الشهوات، والبعد

عن التشبه بالحيوانات والقرب إلى ذروة مقام الإنسان ، وبه يتهيأ إلى القيام بالطاعات ، لاسيما إذا اقترن الإمساك الظاهري بإمساك القلب عمّا لا يليق بمقام الربّ»[1] ، وكفى بكل ذلك شرفاً ورفعة .

(١) تفسير مواهب الرحمـٰن ٣ : ٧.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الرصيد المفتوح

كثير من الناس الذين يتهافتون ويعملون ليل نهار بشتى الطرق وبمختلف الوسائل والأساليب لكي ينمّوا أرصدتهم في البنوك ويرفعوها بشكل تصاعدي ، وكل ذلك يدخل على قلوبهم السعادة والسرور العظيم .

هذا على صعيد الرصيد المادي الدنيوي ، الذي لا يتعدى كونه متاعاً قليلاً زائلاً ، فماذا عن الرصيد الأخروي الباقي ، الذي لا زوال له ولا اضمحلال ؟ حيث سيأتي يوم نحن بأمس الحاجة إلى كل حسنة نضيفها إلى رصيد أعمالنا لننجو بها من العذاب الأليم .

وحقاً هذا هو اليوم الأسود الذي من الضروري أن ندّخر له الحسنات البيضاء !

ولكن رصيد حسناتنا متواضع ، وأرقامه محدودة -إن كان فيه شيء ! - وإنماؤه يحتاج إلى وقت طويل ، ولعل فرصة العمر لا تسمح لبلوغ هذا الهدف ، فما هو السبيل لتنميته بصورة سريعة قبل أن تفوت الفرصة وينتهي وقت العمل والتحصيل ؟

الجواب : إنّ هذه الغاية ممكنة ، وتتحقق من خلال شهر رمضان إذا ما أحسن المرء استغلالها في هذا الطريق .

فكل أوقات هذا الشهر الكريم فيها الثواب الكثير ، والحسنات فيه مضاعفة على كل عمل صالح ، بل مجرد الكف عن العمل السيئ يكتب فيه للعبد الثواب الجزيل .

فعدّاد الحسنات لا يفتر في سرعته الخيالية ولا يتوقف لرفع رصيد الإنسان إلى ما لا يستوعبه عقل ... في صلاته وعبادته ... في تلاوته ودعائه ... بل وحتى في نومه ويقظته ... وفي جلوسه وقيامه ... وفي حركته وسكونه ... وحتى في شهيقه وزفيره ! نعم ،كل ذلك يتحقق إذا ما توجه العبد إلى ربه بنية صادقة ، ورغبة وطمع بما عنده من ثوابٍ وكرم عظيمين .

وفي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته المشهورة : **« ... هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فهي تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ... ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار ، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، ومن أكثر فيه من الصلاة عليَّ ثقّل الله ميزانه يوم تخف الموازين ، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور ... »**[١] .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٥.

وفي حديث طويل عن ابن عبّاس لا بأس بذكره والإشارة إليه لما فيه من بيان لعظيم ثواب الله وكرمه في هذا الشهر الفضيل تشويقاً وترغيباً للعاملين والتائبين. قال: قال رسول الله ﷺ:

«ولو علمتم ما لكم في شهر رمضان لزدتم الله تعالى ذكره شكراً:

إذا كان أوّل ليلة منه غفر الله لأمّتي الذنوب كلّها، سرّها وعلانيّتها ورفع لكم ألفي ألف درجة، وبنى لكم خمسين مدينة.

وكتب الله لكم في اليوم الثاني بكلّ خطوة تخطونها في ذلك اليوم عبادة سنة وثواب نبيّ، وكتب لكم صوم سنة.

وأعطاكم الله في اليوم الثالث بكلّ شعرة على أبدانكم قبّة من الفردوس من درّة بيضاء في أعلاها اثنا عشر ألف بيت من النور، وفي أسفلها اثنا عشر ألف بيت من النور، في كلّ بيت ألف سرير، على كلّ سرير حوراء، يدخل عليكم كلّ يوم ألف ملك، مع كلّ ملك هدية.

وأعطاكم الله يوم الرابع في جنّة الخلد سبعين ألف قصر -إلى أن قال-:

وأعطاكم يوم الخامس في جنّة المأوى ألف ألف مدينة -وذكر وصفها-.

وأعطاكم الله يوم السادس في دار السلام منه ألف مدينة -وذكر وصفها-، ثمّ قال:

وأعطاكم يوم السابع في جنّة النعيم ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صدّيق.

وأعطاكم الله عزّ وجلّ يوم الثامن عمل ستّين ألف عابد، وستّين ألف زاهد.

وأعطاكم الله يوم التاسع ما يعطي ألف عالم، وألف معتكف، وألف مرابط.

وأعطاكم يوم العاشر قضاء سبعين ألف حاجة، ويستغفر لكم كلّ رطب ويابس.

وكتب الله لكم يوم أحد عشر ثواب أربع حجّات وعمرات.

وجعل الله لكم يوم اثني عشر أن يبدّل الله سيّئاتكم حسنات ويجعل حسناتكم أضعافاً.

وكتب الله لكم يوم ثلاثة عشر مثل عبادة أهل مكّة والمدينة.

ويوم أربعة عشر كأنّما عبدتم الله مع كلّ نبيّ مئتي سنة.

وقضى لكم يوم خمسة عشر حوائج الدنيا والآخرة.

وأعطاكم الله عزّ وجلّ يوم ستّة عشر، إذا خرجتم من القبر، ستّين حلّة تلبسونها، وناقة تركبونها.

ويوم سبعة عشر يقول الله: إنّي غفرت لهم ولآبائهم.

وإذا كان يوم ثمانية عشر أمر الله الملائكة أن يستغفروا لأمّة محمّد ﷺ السنة القابلة.

وإذا كان يوم التّاسع عشر لم يبقَ ملك إلّا استأذنوا ربّكم في زيارة قبوركم، مع كلّ ملك هدية وشراب.

فإذا تمّ لكم عشرون يوماً بعث الله إليكم سبعين ألف ملك يحفظونكم

من كلّ شيطان رجيم ، وكتب لكم بكلّ يوم صوم مئة سنة .

ويوم أحد وعشرين يوسّع الله عليكم القبر ألف فرسخ .

ويوم اثنين وعشرين يدفع عنكم هول منكر ونكير ، ويدفع عنكم همّ الدنيا والآخرة .

ويوم ثلاثة وعشرين تمرّون على الصراط مع النبيّين والصدّيقين والشهداء .

ويوم أربعة وعشرين لا تخرجون من الدنيا حتّى يرى كلّ واحد منكم مكانه من الجنّة .

ويوم خمسة وعشرين بنى الله لكم تحت العرش ألف قبّة خضراء .

وإذاكان يوم ستّة وعشرين ينظر الله إليكم بالرحمة ، فيغفر لكم الذنوب .

ويوم سبعة وعشرين كأنّما نصرتم كلّ مؤمن ومؤمنة .

ويوم ثمانية وعشرين يجعل الله لكم في جنّة الخلد مئة ألف مدينة من نور .

فإذا كان يوم تسعة وعشرين أعطاكم الله ألف ألف حلّة ، في كلّ جوف حلّة قبّة بيضاء .

وإذا تمّ الثلاثون يوماًكتب الله لكم بكلّ يوم مرّ عليكم ثواب ألف صدّيق ، وألف شهيد . . . »[1] .

---

(١) وسائل الشيعة : أبواب أحكام شهر رمضان ، الحديث ٩ .

ولعل البعض يستكثر هذا الثواب العظيم بمجرد أن الإنسان امتنع في نهاره عن الطعام والشراب وبعض المحظورات!

ولكنّ هذا جهل بسعة رحمة الله وكرمه الذي وسع كل شيء، كما أنه جهل بقدر هذا الشهر العظيم، الذي يتضاعف فيه ثواب الأعمال بصورة لا تخطر على بال بشر، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: **«لو يعلم العبد ما في رمضان لتمنى أن يكون رمضان السنة...»**[1].

---

(١) ميزان الحكمة ٤: ١٧٦.

نحو مستقبل أفضل

ماذا تطلب وماذا تتمنى لو كنت في حضرة ملك أو رئيس ، وأراد إكرامك في تحقيق كل ما تحلم به وتتمناه ؟

ربما لن تتأخر بطلب كل أمانيك المادية : منزل فخم كبير . . . سيارة فارهة . . . مقدار من المال . . . وغير ذلك من أمانيك التي قد تخطر على بالك في ذلك الوقت .

وهذه الأمنية قد تبدو للوهلة الأولى ضرباً من الخيال وحلماً من أحلام اليقظة ، فماذا كنا نفعل لو أصبح الخيال واقعاً ؟ ! وماذا سوف نصنع لو أصبح الحلم حقيقة ؟ ! ليس مع الملوك والرؤساء من بني البشر ، بل مع ملك الملوك الذي عنده خزائن السماوات والأرض والذي لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً .

نعم إن تلك الأُمنية ممكنة التحقق والوقوع في كل عام مرة ، شريطة أن نعرف متى وكيف .

وتتحقق تلك الأُمنية في ليلة القدر ، التي لا يقتصر تحقق الأماني الدنيوية فيها ـ من بيت وسيارة وتحسين للوضع المادي والمعيشي ـ

بل والأماني الأخروية أيضاً ـ من جنّة عرضها السماوات والأرض ـ فهي وبكلمة موجزة الليلة التي يتحقق لنا الخروج من الشقاء الدنيوي والأخروي معاً ، والوصول إلى السعادة والرفاه فيهما ، بدءاً من العتق من النار وغفران الذنوب وقبول التوبة ودخول الجنة بما فيها من نعيم عظيم ، والتوفق لحج بيت الله الحرام ، إلى طول العمر والزيادة في العافية والرزق والحياة السعيدة بكل تفاصيلها .

وأمّا كيفية تحقيق تلك الأُمنية ؟ فذلك إذا ما أحسنّا استغلال هذه الفرصة النادرة ، بالتوجه إلى الله تعالى بنيات خالصة ، وقلوب صادقة ، ودعاء خاشع ، واحياء تلك الليلة بالعبادة والأعمال الصالحة ، لاسيما الواردة منها عن النبي والمعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) .

فهي أفضل وأعظم ليلة على الإطلاق عند الله تعالى ، الذي جعل العبادة فيها خيراً من ألف شهر ، والذي فيها يفرق كل أمر حكيم ، حيث تقدر الأعمال والأرزاق وتؤقت الآجال والأعمار ، وكل ما سوف يجري ويحدث على العباد حتى سنتهم المقبلة إلى مثل تلك الليلة ، وتمحى فيها أسماء العباد من قائمة الأشقياء لتكتب في عداد قائمة السعداء والمرحومين ، وفيها تتنزل الملائكة والروح إلى الأرض لتصافح المؤمنين وترفع دعاءهم المستجاب ، وتبشرهم بالعطايا الإلهية العظيمة .

ومما يقرأ ويدعى به في هذه الليلة المباركة ، مما ورد عن المعصومين عليهم السلام :

«اللّٰهُمَّ امْدُدْ لي في عُمْري ، وَأَوْسِعْ لي في رِزْقي ، وَأَصِحَّ لي جِسْمي ، وَبَلِّغْني أَمَلي ، وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الأَشْقِياءِ فَامْحُني مِنَ الأَشْقِياءِ ، وَاكْتُبْني مِنَ السُّعَداءِ ، فَإِنَّكَ قُلْتَ في كِتابِكَ الْمُنْزَلِ عَلىٰ نَبِيِّكَ الْمُرْسَلِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ : ﴿ يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ﴾ »(١).

فما أكرمها من ليلة ، وما أعظمها من فرصة ، وما أتعس وأشقى من يحرم العطاء والبركة فيها.

فقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى فضل هذه الليلة ، بحيث لا يستطيع عقل بشر أن يستوعب عظمتها وشرفها عند الله يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ ،ولكن أشار تعالى إلى الذي يمكن استيعابه فيها وهو أنها ﴿ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال :

« قال موسى : إلهي أريد قربك ، قال : قربي لمن استيقظ ليلة القدر.

قال : إلهي ، أريد رحمتك ، قال : رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر.

قال : إلهي ، أريد الجواز على الصراط ، قال : ذلك لمن تصدق بصدقة في ليلة القدر.

قال : إلهي ، أريد أشجار الجنة وثمارها ، قال : ذلك لمن سبّح

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٨٧.

تسبيحة في ليلة القدر.

قال: إلهي، أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر.

قال: إلهي، أريد رضاك، قال: رضاي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر»[١].

وفي حديث آخر عنه ﷺ يبين فيه ثواب العبادة في ليلة القدر قال:

«يفتح أبواب السماوات في ليلة القدر، فما من عبد يصلي فيها إلّا كتب الله تعالى له بكل سجدة شجرة في الجنة، لو يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، وبكل ركعة بيتاً في الجنة، من درٌ وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، وبكل آية تاجاً من تيجان الجنة، وبكل تسبيحة طائراً من النجب، وبكل جلسة درجة من درجات الجنة، وبكل تشهُدٍ غرفة من غرفات الجنة، وبكل تسبيحة حلة من حلل الجنة، فإذا انفجر عمود الصبح، أعطاها الله تعالى من الكواعب المؤلفات، والجواري المهذبات، والغلمان المخلدين، والعجائب المطّيرات[٢]، والرياحين المعطرات، والأنهار الجاريات، والنعيم الراضيات، والتحف والهدايا والخلع والكرامات، وما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون»[٣].

---

(١) مستدرك الوسائل: أبواب أحكام رمضان، الحديث ٥.

(٢) المطيّرات: نوع من الثياب.

(٣) مستدرك الوسائل: ٧، ب (٢٢) من أبواب أحكام رمضان، الحديث ٦.

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

« من أحيا ليلة القدر غفر له ذنوبه ، ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ، ومثاقيل الجبال ، ومكاييل البحر »(١) .

وعن الأمور التي تكتب في ليلة القدر قال الإمام الصادق عليه السلام :

« الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، ينزل فيها ما يكون في السنة إلى مثلها ، من خير ، أو شر ، أو رزق ، أو أمر ، أو موت ، أو حياة ويكتب فيها وفد مكة ، فمن كان في تلك السنة مكتوباً ، لم يستطع أن يحبس ، وإن كان فقيراً مريضاً ، ومن لم يكن فيها مكتوباً ، لم يستطع أن يحج ، وإن كان غنياً صحيحاً »(٢) .

وعنه عليه السلام أيضاً في تحديد أي ليلة هي قال :

« إنّ ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان ، هي ليلة الجهني ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، وفيها تثبت البلايا والمنايا ، والآجال والأرزاق ، وجميع ما يحدث الله فيها إلى مثلها من الحول ، فطوبى لعبدٍ أحياها راكعاً وساجداً ، ومثل خطاياه بين عينيه ، ويبكي عليها فإذا فعل ذلك ، رجوت أن لا يخيب إن شاء الله »(٣) .

هذا قليل من كثير في فضل ثواب العبادة في ليلة القدر ، مع ملاحظة أن إحياءها لا يقتصر على العبادات المذكورة في الروايات

---

(١) مستدرك الوسائل : ٧ ، ب (٢٢) من أبواب أحكام رمضان ، الحديث ٧.

(٢) المصدر المتقدّم : الحديث ٨.

(٣) المصدر المتقدّم : الحديث ٢٨.

كالصلوات والأدعية وتلاوة القرآن ، بل كل ذلك هو من أبرز ماينَدب فعله في تلك الليلة المباركة ، وإلا فكل أعمال البرّ الأُخرى كصلة الرحم ، والصدقة ، والإصلاح بين الناس ، وتوجيههم وإرشادهم إلى الالتزام بالدين ، وطلب العلم والمعرفة وغير ذلك من أعمال الخير والبرّ ، لا يقل ثواباً وفضلاً عن المذكور في الأخبار والروايات .

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام «كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر ؟ قال :

«العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ، ليس منها ليلة القدر»[1] .

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام حينما سأله حمران عن قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أي شيء عنى بها ؟

قال : **«العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، لولا ما يضاعف الله للمؤمنين لما بلغوا ، ولكن الله عزّ وجلّ يضاعف لهم الحسنات»**[2] ، أي لما بلغوا ثواب الألف شهر ، بسبب أعمالهم القليلة .

وقد ورد في الأخبار كيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام كانوا يولون هذه الليلة المباركة أهمية كبيرة ، ويجتهدون في إحيائها ويحثون الأهل والأصحاب على إحيائها لكي لا يحرموا بركاتها وخيراتها .

---

(١) الوسائل ١٠ : ٣٥٠ ، ب (٣١) من أبواب أحكام شهر رمضان ، الحديث ٢ .
(٢) بحار الأنوار ٩٤ : ١٩ .

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يطوي فراشه ويشد مئزره للعبادة في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين وكان يرش وجوه النّيام بالماء في تلك الليلة[1].

وكانت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) لا تدع أهلها ينامون في تلك الليلة وتعالجهم بقلة الطعام وتتأهب لها من النهار ـ أي كانت تأمرهم بالنوم نهاراً لئلا يغلب عليهم النعاس ليلاً ـ وتقول : **« محروم من حُرم خيرها »**[2].

وروي أن الصادق عليه السلام كان مدنفاً فأمر فأخرج إلى المسجد فكان فيه حتى أصبح ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان[3].

وروى الشيخ في التهذيب عن أبي بصير قال : قال لي الصادق عليه السلام :

« صلِّ في الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر مئة ركعة ، تقرأ في كل ركعة (قل هو الله أحد) عشر مرات » ، قال : قلت : جعلت فداك فإن لم أقوَ عليها قائماً ؟ قال : **« صلّها جالساً »** . قلت : فإن لم أقوَ ، قال : **« أدها وأنت مستلقٍ في فراشك »**[4].

وهنا تجدر الإشارة ، إلى أن أقل ما يمكن فعله في هذه الليلة المباركة ـ وفي جميع شهر رمضان ـ الذي هو من أفضل الأعمال

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٨٨ .

(٢) مفاتيح الجنان : ٢٨٩ .

(٣) بحار الأنوار ٩٤ : ٤ .

(٤) مفاتيح الجنان : ٢٨٨ .

والقربات عند الله تعالى هو الكف عن المحرمات حتى لا يكون ذلك مانعاً لنا من بركاتها ، لذا يجب التحرز عن كل ذلك ، وحتى لا نكون من الأشقياء المحرومين من رحمة الله تعالى .

ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

«... فقمت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال: يا أبا الحسن ، أَفْضَلُ الأَعْمالِ في هٰذَا الشَّهرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحارِمِ اللهِ»[1] .

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٣١٠.

العيد لمن أمن الوعيد

للعيد مفهومان:

المفهوم الأوّل: ما يفهمه الكثير من الناس، وهو الاحتفال بذلك اليوم بمختلف أنواع ومظاهر التباهي والزينة، من لبس أفخر الثياب الجديدة، وتزيين البيوت والمحال، وإشعال أكبر قدر ممكن من البخور، والخروج إلى الحدائق والمتنزهات العامّة للتعبير عن فرحة العيد، والترويح عن النفس باللعب واللهو.

المفهوم الثاني: وهو المفهوم الديني الذي يتضمن معنىً روحيّاً كبيراً.

فهو فرحة الروح التي تتحقق بالأمن من عذاب الله الأليم، وذلك بغفران ما سلف من الذنوب والسيئات التي استوجب الإنسان عليها دخول النار، والفرحة بقبول الأعمال التي أجهد الإنسان نفسه بأدائها خلال شهر رمضان، من صيام وقيام ودعاء وتلاوة، وغيرها من العبادات والأعمال الصالحة.

ففي الحديث أنّ سويدة بن غفلة قال: دخلت عليه ـ يعني أمير

المؤمنين ﷺ ـ يوم عيد فإذا عنده فاثور ـ أي خوان ـ عليه خبز السمراء ـ أي الحنطة ـ وصفحة فيها خطيفة وملبنة[1]، فقلت: يا أمير المؤمنين، يوم عيد وخطيفة؟ فقال:

«**إنّما هذا عيد من غفر له**»[2].

وعن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال في بعض الأعياد:

«**إنّما هُوَ عِيدٌ لِمَن قَبِلَ اللهُ صِيامَهُ، وَشَكَرَ قِيامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيد**»[3].

وكذلك هو عيد فرحة الروح، التي تحقق لها الانتصار الكبير على النفس الأمارة بالسوء، والشيطان الغوي الرجيم «ففي عيد الفطر يجدر بالإنسان أن يفرح؛ لأن الإنسان قد أعلن المقاومة للشيطان منذ استهلال رمضان، فأغلق على نفسه نوافذ الشيطان، وتخلص لله سبحانه، فلن يستطيع الشيطان إغراءه وصرفه عن الله، فثبت انتصاره وانهزام الشيطان، ومن استطاع الانتصار على الشيطان شهراً كاملاً يستطيع التغلب عليه أبداً»[4].

ويتكامل هذا الانتصار الذي حققته روح الإنسان طوال الشهر الفضيل ـ على شهوة البطن والفرج ـ بالتغلب على شهوة طلب المال والشح الكامن في النفوس البشرية، بدفع مقدار معين من المال يوم

---

(١) الخطيفة: لبن يطبخ بدقيق ويختطف بالملاعق بسرعة. الملبنة: الملعقة.
(٢) و (٣) ميزان الحكمة ٧: ١٣٠.
(٤) حديث رمضان: ١٥٢.

العيد ، للفقراء والمساكين والمعوزين ، وهذه هي التي تسمى (زكاة الفطرة) وذلك «لأن الشيطان لا يتسلل إلى الإنسان ، إلا عن النوافذ الثلاث ، وهي : البطن ، والفرج ، والمال ، فما استزلّ الشيطان إنساناً إلّا بإغراء أحد هذه الأسباب ، والصائم في رمضان يعلن حربه على الشيطان بالإضراب عن هذه الوسائل ، وكأنه يقول للشيطان إذا كنت تغري الناس إلى الضلال بهذه الوسائل فإنّي قد تركتها جميعاً ، فكف بطنه وفرجه إلا عن الحلال ؛ لأن الله شاء له أن يتركه ثلاثين يوماً ثمّ لا ينقضي الشهر إلا ويدفع زكاة الفطرة ، بكمية رمزية من المال ليعلن : أنه على أتم الاستعداد للتخلي عن المال ، إذا أمر الله بالتخلي عنه ، ومن حصّن بطنه وفرجه ، وتصدق بماله في سبيل الله ، فقد أكد انتصاره على الشيطان فيحق له أن يفرح بهذا الانتصار العظيم ، فهو (عيد) (عيد السنة)»[1].

أما المعنى السائد في تقاليد وأعراف الناس ، وهو الاحتفال بالعيد عن طريق اللعب واللهو حلاله وحرامه ، وإغفال المعنى الروحي الكبير فإنّه يدل على الجهل بالفلسفة الدينية للعيد.

وفي الحديث : أن الإمام الحسن عليه السلام مرّ في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون فوقف على رؤوسهم فقال :

«إنّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ... فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا ، وقصّر آخرون فخابوا ، فالعجب كل العجب من

---

(١) حديث رمضان : ٢٥٣.

ضاحك لاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وأيمُ الله لو كشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسي مشغول بإساءته، ثم مضى»[1].

وفي رواية أخرى أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم فطر فقال:

«أيّها الناس إن يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون وهو أشبه بيوم قيامكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة.

عباد الله إن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر شهر رمضان أبشروا عباد الله فقد غُفر لكم ما سلف من ذنوبكم فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون»[2].

وهذه هي فلسفة العيد التي تعني فرحة الروح بالدرجة الأولى، ومع هذا فتتكامل الفرحة حينما تجتمع فرحة الروح والنفس.

من هنا فإنّ الدين يؤكد على المعنى الروحي ليوم العيد حتى لا يتحول هذا اليوم إلى يوم هرج ومرج، مع عدم إغفال أن الدين لا يعارض الترويح عن النفس والعيال، بل هو مستحب، وقد عُدَّ في بعض الروايات من العبادات.

---

(١) و (٢) ميزان الحكمة ٧: ١٣١.

الفصل الثاني

التحوّل التربوي

المدرسة التربوية

المنهج التربوي

كيف تنمّي إرادتك ؟

موسم العمل والمثابرة

صراع الحق والباطل

المدرسة التربوية

يتميز شهر رمضان ـ وبخلاف بقية شهور السنة ـ بأنه مدرسة تربوية متكاملة ، تقيم أركانها على قاعدة الصوم الذي يشكل مدرسة ترويضية للنفس ، وانقلاب على الكثير من السلوكيات المنحرفة والعادات السيئة عند الإنسان .

وبهذا يكون شهر «رمضان مدرسة ذات فلسفة ورسالة ... مدرسة الروح والفكر والضمير ، ودورة تكميلية للنواقص البشرية ، وحملة تطهيرية لتصفية الرواسب ، التي تتكلس في قرارات الإنسان ، خلال أحد عشر شهراً»[1] ، بل خلال سنوات العمر الماضية .

وذلك لقيامه بدور تربوي فريد ، وبإعادة تأهيل النفس البشرية الأمارة بالسوء والتي اعتادت على اقتراف الذنوب والآثام بتحول كبير وعلى هذا الصعيد يقوم بالقضاء على هذه العادات السيئة ، وبتعويد النفس على الطاعة والعادات الحسنة .

---

(١) حديث رمضان : ٢٣ .

ويحدث ذلك حينما يقوم الصوم بقطع مصدر الطاقة والغذاء عن أهم شهوات الإنسان ـ وهو الأكل والشرب ـ مما يضعفها ويشل فاعليتها عن ارتكاب المعاصي والمحرمات، فوسيلة الشيطان الشهوات وإنّما تتقوى الشهوات بالأكل والشرب.

ولذا قال النبي ﷺ:

«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيّق مجاريه بالجوع، فالشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم...»[1].

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام ينقله عن النبي ﷺ وهو يعدد بعض مزايا مدرسة الصوم الكثيرة، ومدى تأثيرها على تربية النفس البشرية، قال: قال:

«الصوم جُنة من آفات الدنيا، وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صمت فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمة عن خطوات الشيطان والشياطين، وأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً، وتوقع في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب، وطهّر باطنك من كل كذب وكدر وغفلة وظلمة يقطعك عن الإخلاص لوجه الله تعالى...». وقال: قال تعالى: **«الصوم لي وأنا أجزي به»**.

«والصوم يميت مراد النفس وشهوة الطمع، وفيه صفاء القلب

---

(١) الحقائق في محاسن الأخلاق: ٢٧٤.

وطهارة الجوارح ، وعمارة الظاهر والباطن ، والشكر على النعم والإحسان للفقراء ، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء ، وجلُّ الالتجاء إلى الله تعالى ، وسبب انكسار الهمة ، وتخفيف السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى ، وكفى بما ذكرناه منه لمن عقل ووفق لاستعماله إن شاء الله تعالى »(١).

فكل ذلك يكفي لأن يتحول الصوم إلى مدرسة تربوية للنفس ـ التي هي أعدى أعداء الإنسان ـ إذا ما عقدنا العزم لوضعها على الجادة والصراط المستقيم الذي رسمه الله عزّ وجلّ لنا في هذه الحياة .

«فالصوم من أهم الوسائل التي يكتسب بها العبد التقرب إلى خالقه ، وأعظم السبل في تحلية النفس بالفضائل ، وتخليتها عن الرذائل ، وأنه أوّل ما يمكن أن يصدر من الحبيب في لقاء حبيبه بالتنزه عمّا تشتهيه النفس من الملذات ، فهو الخير الذي أمرنا الله تعالى بالاستباق إليه ...»(٢) ، وهكذا يتحول الصوم إلى معهد تربوي كثير الفوائد والأثر على النفس البشرية .

وحتى تعطي مدرسة الصوم الآثار التربوية المرجوة منها ، لابد من التعرف على هذه المدرسة وأهدافها .

فليس الصوم مجرد الامتناع عن محظورات عشرة وهي : الأكل والشرب ، والجماع ، والاستمناء ، والكذب على الله ورسوله

---

(١) مصباح الشريعة : ١٣٥ .

(٢) تفسير مواهب الرحمٰن ٣ : ٢٢ .

والمعصومين ، واستعمال الحقنة السائلة ، وإيصال الغبار الغليظ إلى الحلق ، ورمس الرأس في الماء ، وتعمد البقاء على الجنابة والحيض والنفاس إلى أذان الفجر ، وتعمّد التقيّؤ... على تفصيل وخلاف في بعضها كما هو مذكور في الكتب الفقهية المبسوطة .

فهذه المحظورات تعتبر القاعدة التي تقوم عليها مدرسة الصوم ، وهناك - بالإضافة إلى هذا - مبادئ روحية مهمة لابد أن لا يخلو منها صائم ، وإلّا فقد الصوم رسالته وأهدافه ، وهي ما يعبر عنها (بالسنن والآداب) وهي كثيرة ونحاول الإشارة إلى بعضها .

« فينبغي للصائم أن يغض بصره عن كل ما يحرم النظر إليه ، أو يكره ، أو يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله تعالى ، ويحفظ اللسان عن جميع ما يحرم أو يكره استماعه ، ويكف بطنه عن الحرام والشبهات ويكف سائر جوارحه عن المكاره . وقد ورد في اشتراط جميع ذلك في الصوم في ترتب كمال الثواب عليه أخبار كثيرة »[١] .

ونشير إلى بعض هذه الأخبار نقلاً عن الفيض الكاشاني مما هو مذكور في كتابه (الحقائق في محاسن الأخلاق) .

ومنه ما رواه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

« إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك - وعدّ أشياء أخر غير هذا ، وقال - : **لا يكون يوم صومك كيوم فطرك »** .

---

(١) جامع السعادات ٣ : ٣٧٩ .

وزاد الإمام الصادق عليه السلام في خبر آخر: «ودع المراء، وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصّيام، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسبّ جاريتها وهي صائمة، فدعا بطعام فقال لها: كلي فقالت: إني صائمة، فقال: تكونين صائمة وقد سببت جاريتك! إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب فقط».

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّما الصوم جُنة من النار فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنّي صائم، إنّي صائم».

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوءه وإن مات وهو كذلك مات وهو مستحلّ لما حرّم الله».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الكذبة لتفطر الصائم»، قيل: وأينا لا يكون ذلك منه، قال: «ليس حيث تذهب إنّما ذاك الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام».

«ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة وغيرها، مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الإجزاء والخروج عن عهدة التكليف...»[(١)].

وحتى تعطي هذه المدرسة التربوية أثرها في النفوس، لابد من الالتزام بهذه الآداب والسنن التي تعتبر من أهداف الصوم وغاياته

---

(١) الحقائق في محاسن الأخلاق: ٢٧٥.

كما أنه بتلك يتحقق الصوم الحقيقي ، كما عن أمير المؤمنين ﵇ : **« ليس الصوم الإمساك عن المأكل والمشرب ، الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه »**(١) .

هذا ومن المهم الالتزام بهذه الآداب ، لا سيما في عصرنا الراهن المليء بالإشكالات والشبهات والمحرمات الشرعية ، وبالخصوص التي تأتي من الأجهزة الحديثة (كالستلايت والأنترنيت) اللذين يعتبران من أهم الوسائل لترويج الفساد والانحراف في واقعنا المعاصر ، حيث يستخدم فيها أخطر أساليب الإغراء والإثارة والترويج للفساد والانحلال والإباحية ، لجذب ضعيفي الإيمان وأصحاب النفوس الخفيفة والمريضة ، سواء كان في المجالات الفكرية أوالعاطفية والجنسية .

فلابد من الحذر من كل ذلك ، حتى لا نصبح ضحية لشراك الشياطين من الجن والإنس ، وإلّا تحول صومنا إلى جوع وعطش لا إلى عبادة وتقوى ، وكما عبّر عنه النبي ﷺ في قوله : **« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش »**(٢) .

---

(١) تصنيف نهج البلاغة : ٢٩٥ .

(٢) الحقائق في محاسن الأخلاق : ٢٧٥ .

المنهج التربوي

يشتمل الفكر الديني على منهج تربوي منقطع النظير لما له من أثر بالغ ومباشر على النفس البشرية .

فهو يتميز ـ وبخلاف المناهج التربوية الوضعية ـ بفهمه الموضوعي لواقع الطبيعة البشرية التي يشوبها الكثير من الخفاء والغموض ، حتّى إنّ بعض العلماء الغربيين قد أعلنوا صراحة استحالة فهم النفس البشرية ، كما اعترف به ذلك العالم في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) .

من هنا لا يمكن أن يكتب لأي منهج تربوي النجاح إذا لم يبنَ على هذا الإساس ، والذي ينفرد به المنهج الإسلامي ، والذي مصدره ومنبعه خالق هذه النفس البشرية والعالم بخفاياها وبما يصلحها ويقومها ، وأي أمر يمكن أن يتوافق وينسجم معها في طريق الترويض والتربية .

وقد جاء بيان هذا المنهج التربوي ، من خلال القرآن الكريم وما اشتملت عليه الأحاديث والأدعية التي وصلتنا عن الرسول ﷺ

وأهل بيته المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) ـ وهي بالآلاف ـ مما تشكل مدرسة تربوية متكاملة.

هذا وقد جاء التأكيد على الاستفادة من هذين المنهجين وبصورة خاصة في هذا الشهر الفضيل، لما يتميز به من أجواء خاصة واستثنائية، حيث تضاعف الرحمة والكرم والتوفيق الإلهي، لتشكل أرضية خصبة ومهيأة لمن أراد قطع أشواط كبيرة في مجال التربية والترويض للنفس.

وهنا نتعرض إلى الخطوط العامة لكلا المنهجين لنتمكن من الاستفادة من هذين المنبعين العظيمين والذي أوصى بالتمسك بهما النبي ﷺ في حديثه المتواتر بين العامّة والخاصّة:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ٣٣.

المنهج التربوي في القرآن

لماذا أنزل الله تعالى القرآن الكريم في شهر رمضان بالتحديد ولم ينزله في غيره من الشهور ؟ لعل الحكمة من ذلك ـ وبالإضافة إلى تعظيم هذا الشهر وتفضيله ـ أن القرآن الكريم أعظم منهج ودستور أنزله الله عزّ وجل على عباده ، وأفضل فرصة تتناسب مع رسالته وأهدافه ، هي فرصة شهر رمضان ، الذي تتفتح فيه أبواب السماء وتتزين فيه الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ، وتصفد فيه الشياطين وتقل فيه أسباب الشرور ، وتكثر فيه أسباب الخير والرحمة والبركة .

مما يعني ذلك فرصة كبيرة ، للتغير الفردي والاجتماعي ، وتغيير الواقع السيئ إلى آخر حسن ، حيث يتم عن طريق المنهج المبين في القرآن الكريم والذي رسم لنا أعظم منهج للخلاص والنجاة ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** ﴾[1] .

---

(١) الإسراء : ٩ .

وقال تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

لذا نجد الروايات المتواترة، تؤكد على تلاوة القرآن الكريم والتدبر فيه والعمل به بصورة عامة في سائر الشهور، وبصورة خاصة في شهر رمضان، لكي تحفز الإنسان وتدفعه للاطلاع على هذا المنهج التربوي العظيم، الذي يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور.

فتلاوة آية في هذا الشهر تعدل ثواب ختمة قرآن في غيره من الشهور، كما ورد عن النبي ﷺ حيث قال:

«... ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور...»[٢].

وتلاوة القرآن يجب أن تكون بطريقة خاصة تتناسب مع قدسية هذا الكتاب العظيم، فلابد أن لا تكون مجرد قراءة إنشائية كقراءة الصحف والكتب المختلفة، بل لابد أن تكون قراءة مصحوبة بالتأمل وإعمال العقل والفكر، وذلك بالتدبر في مضامين الآيات وما ترمي إليه حيث هي إحدى أهم الغايات التي أُنزلت من أجله.

قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[٣].

---

(١) المائدة: ١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٥.

(٣) ص: ٢٩.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»[١].

وعنه عليه السلام: «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به، فإنّه أبلغ العبر»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ رَبِيعٌ، وَرَبِيعُ الْقُرآنِ شَهْرُ رَمَضانَ»[٣].

ولعل في هذا الحديث إشارة إلى خصوبة الأفكار التي يمكن أن يستفيدها الإنسان من خلال التدبر في هذا الشهر المبارك على وجه الخصوص، إذ من سمات الربيع الأساسية الخصوبة والعطاء في كافة الأصعدة والمجالات.

ولا يكفي التدبر وفهم آيات القرآن الكريم، بل لابد من العمل بتلك المبادئ والقيم التي يطلع عليها الإنسان من خلال تدبره في القرآن الكريم، وإلا لا قيمة لعلمٍ لا يردفه عمل.

«وواضح أنّ كل هذه الفضائل في التلاوة لا تعود على من يقرأها دون أن يدرك حقيقتها، بل إنّها نصيب من يقرأها ويفهمها ويعمل بها... من يقدِّر القرآن حق قدره ويطبق آياته في حياته»[٤].

وفي خبر عن النبي صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ

---

(١) و (٢) ميزان الحكمة ٨: ٨٨.

(٣) ثواب الأعمال: ١٣٩.

(٤) تفسير الأمثل ٢٠: ٣١١.

الْخَاسِرُونَ ﴾[١] ، قال : « **يتبعونه حقّ اتّباعه** »[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« **فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ،... مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ** »[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« **... فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ، ومنشور ولايتك ، وكيف تجيب أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وكيف تمتثل حدوده ، فإنّه كتاب عزيز ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾**[٤] **فرتّله ترتيلا ، وقف عند وعده ووعيده ، وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده** »[٥].

فالاستفادة من هذا المنهج التربوي العظيم لا تكون إلا بالعمل وإلّا فمجرد الاطلاع عليه لا يمكن أن يربي نفوسنا ويضعها على جادة الصواب .

ونضرب مثالاً في كيفية التربية «يتردد بين ثنايا آيات القرآن الكريم ذكر أحوال الجنّة والنار ، وذكر مصير المتقين وعاقبة المكذبين ، ممّا

---

(١) البقرة : ١٢١.

(٢) ميزان الحكمة ٨ : ٨٤.

(٣) المصدر المتقدّم : ٧٢.

(٤) فصّلت : ٤٢.

(٥) مصباح الشريعة : ٢٩.

يجعل من القرآن محطة روحية هائلة لمحاسبة النفس على تقصيرها في تأدية الدور المطلوب منها ، ويعتبر هذا من الأساليب البليغة في التوجيه ، وقد كان علماؤنا الكبار يستخدمون هذا الأسلوب لتأنيب أنفسهم ، فبعض العلماء كان قد كتب لنفسه كتاباً أوصى بأن يحرق بعد موته ، ولكن بعض أقربائه تصفحوا هذا الكتاب بصورة عفوية ، فرأوا فيه نصائح هذا العالم الكبير إلى نفسه ، كان يكتبها حين يحاسب نفسه ، إنّ الأتعاظ بالقرآن سراج القلوب وشفاء لما في الصدور »[١].

من هنا فإنّ القراءة الحقيقية للقرآن الكريم ـ والتي يستحقّ عليها الإنسان جزيل الثواب ـ هي التي لا تنفك عن العمل والامتثال للأوامر والنواهي .

ففي الحديث عن النبي ﷺ قال :

« أنت تقرأ القرآن فإن . . . . فإذا لم ينهك فلست تقرأه »[٢].

وكمثال على كيفية تأثير المنهج التربوي للقرآن على النفوس المنحرفة ، نشير إلى هذه القصة : (فقد حاول رجل مجرم أن يتسلق جداراً لينهب المال ويغتصب النساء ، فسمع صوتاً ينبعث من داخل البيت ، ويتلو هذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾[٣] ، فاستمع إلى هذه الآية بضع ثوان ، ثم انفجر باكياً وقال : بلى

---

(١) شهر رمضان معراج المؤمنين : ٤٣.

(٢) ميزان الحكمة ٨ : ٩٠.

(٣) الحديد : ١٦.

آن ذلك الوقت الذي به يخشع قلبي القاسي لذكر الله وما نزل من الحق ، فهبط من الجدار وتولى بوجهه شطر مسجد ، واعتكف فيه إلى الأبد).

إن تدبر هذا الرجل في آية واحدة حولته من مجرم متمرس بالجريمة ، إلى معتكف في محراب العبادة .

فكيف إذا تدبر الإنسان في كلّ القرآن ؟ أفلا يتحول من رجل إلى ملاك بل إلى من هو فوق درجات الملك [(١)] ؟ !

---

(١) بحوث في القرآن الحكيم : ١٥ .

المنهج التربوي في الدعاء

لا نغالي إذا ما قلنا: إنّ في الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام منهجاً تربوياً متكاملاً لصياغة شخصية الإنسان من جديد، للوصول به إلى مستوى عالٍ من الكمال والفضيلة.

والسر في ذلك: أنّ هذه الأدعية مصدرها الوحي الإلهي، الذي صنع النفس البشرية، والذي هو أعرف بأي منهج يتم صلاحها وتربيتها.

ولعل هناك ثلاثة أركان، تحاول هذه الأدعية بناء شخصية الإنسان عليها، وهي:

١ ـ معرفة الله وكيفية التعامل معه.

٢ ـ معرفة النفس وكيفية التعامل معها.

٣ ـ الطريق إلى تحقيق الأماني.

وهذا ما تحاول التركيز عليه الأدعية المستحب قراءتها في شهر رمضان.

فأولاً: معرفة الله وكيفية التعامل معه

وهذا ما حاولت التركيز عليه، لاسيما الأدعية المهمة التي ورد التأكيد على قراءتها كثيراً في شهر رمضان.

إذ الإنسان لا يمكن أن يتعامل مع شيء مجهول، وعلى فرض تمَّ التعامل على أساس الجهل، فإنه لن يكتب له النجاح وسيزداد الإنسان ابتعاداً عن ربه، لأنه سيحكّم طبيعته الأرضية، التي يخالطها سوء الظن واليأس، وعدم الآداب و...

من هنا فقد دأب أهل البيت (سلام الله عليهم) تعريف العباد بربهم وخالقهم، من خلال الكثير من الروايات والأدعية لتكون منهج المعرفة وطريقة التعامل مع هذا الخالق العظيم.

ويكفينا أن نأخذ دعاءً واحداً ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ وهو دعاء عظيم القدر ورد في فضله الكثير، وهو دعاء (الجوشن الكبير) الذي يحتوي على بحر من المعرفة، فهو يحتوي على ألف اسم من أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله مع العباد وسائر الكائنات في هذا الكون الرحب، من رزق وقدرة وخلق وحساب وعذاب وإحياء وإماتة...

وعلى أساس هذا المنهج يجب أن يتعرف الإنسان على ربه وعلى هذه الطريقة يجب أن يتعامل معه.

فحينما يعرف العبد قدرة الله عزّ وجلّ ويتيقن أنه على كل شيء قدير... وحينما يتعرف على كرمه فلابد أن يتيقن أنه لا يبخل على

من سأله.... وحينما يعرف أنه واسع المغفرة والرحمة ، فلابد أن لا ييأس من قبول التوبة والصفح عمّا مضى... وحينما يعرف أنه شديد العذاب لابد أن يبتعد عن كل شيء يستوجب سخطه وغضبه... وحينما يعرف أنه خبير عليم مطّلع على كل شي ، فلابد أن يوقن أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور... وهكذا... وفي هذه المعرفة الخلاص والنجاة من النار.

وممّا جاء في هذا الدعاء :

« اللّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يا اللهُ ، يا رَحْمـٰنُ ، يا رَحِيمُ ، يا كَرِيمُ ، يا مُقِيمُ ، يا عَظِيمُ ، يا قَدِيمُ ، يا عَلِيمُ ، يا حَلِيْمُ ، يا حَكِيمُ ، سُبْحـٰانَكَ يا لَا إلـٰهَ إلاَّ أنْتَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ ، خَلِّصْنا مِنَ النّارِ يا رَبِّ.

يا سَيِّدَ السّاداتِ ، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ ، يا رافِعَ الدَّرَجاتِ ، يا وَلِيَّ الْحَسَناتِ ، يا غافِرَ الْخَطِيئاتِ ، يا مُعْطِيَ الْمَسْئَلاتِ ، يا قابِلَ التَّوْباتِ ، يا سامِعَ الْأَصْواتِ ، يا عالِمَ الْخَفِيّاتِ ، يا دافِعَ الْبَلِيّاتِ...»[1].

ثانياً : معرفة النفس وكيفية التعامل معها

من الأمور العظيمة والمهمة التي تتحدث عنها الروايات والأدعية الواردة عن أهل البيت (سلام الله عليهم) التي تعرّف الإنسان ذاته ونفسه ، هذه المعرفة التي تشكل الجسر لبلوغ المعرفة الإلهية.

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٢.

ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من عرف نفسه عرف ربّه»[(١)].

فإذا عرف الإنسان نفسه سيتعرف على كل أمر فيه صلاح وفائدة له، وسيتجنب كل أمر فيه مفسدة وضرر عليه، وهذه هي الغاية المرجوة من المعرفة الإلهية، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه»[(٢)].

ولعل دعاء أبي حمزة الثمالي الذي رواه عن الإمام زين العابدين عليه السلام خصص لبيان هذا الأمر المهم، ففي بعض مقاطع هذا الدعاء الشريف يقول الإمام:

«...إلـهي لَمْ أعْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جاحِدٌ، وَلَا بِأمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لِوَعِيدِكَ مُتَهاوِنٌ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لي نَفْسي، وَغَلَبَني هَوايَ، وَأعانَني عَلَيْها شِقْوَتي، وَغَرَّني سِتْرُكَ الْمُرْخىٰ عَلَيَّ...».

وفي مقطع آخر:

«...اللّٰهُمَّ إنِّي أسْألُكَ إيماناً لا أجَلَ لَهُ دُونَ لِقائِكَ، أحْيِني ما أحْيَيْتَني عَلَيْهِ، وَتَوَفَّني إذا تَوَفَّيْتَني عَلَيْهِ، وَابْعَثْني إذا بَعَثْتَني عَلَيْهِ، وَابْرِءْ قَلْبي مِنَ الرِّياءِ وَالشَّكِّ وَالسُّمْعَةِ في دِينِكَ حَتّىٰ يَكُونَ

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٤٢.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٤٨.

عَمَلي خالِصاً لَكَ. اللّهُمَّ أَعْطِني بَصِيرَةً في دِينِكَ، وَفَهْماً في حُكْمِكَ، وَفِقْهاً في عِلْمِكَ، وَكِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَوَرَعاً يَحْجُزُني عَنْ مَعاصِيكَ، وَبَيِّضْ وَجْهي بِنُورِكَ، وَاجْعَلْ رَغْبَتي فِيما عِنْدكَ، وَتَوَفَّني في سَبِيلِكَ وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِكَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْفَشَلِ وَالْهَمِّ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ وَالْفاقَةِ، وَكُلِّ بَلِيَّةٍ، وَالْفَواحِشِ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعُ، وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ودُعاءٍ لا يُسْمَعُ، وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ يا رَبِّ عَلىٰ نَفْسي وَدِيني وَمالي وَعَلىٰ جَمِيعِ ما رَزَقْتَني مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ إنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...»[1].

ثالثاً: الطريق إلى تحقيق الأماني

كم هي الأماني التي يمتلئ بها قلب الإنسان، وكم هي الحاجات والمستلزمات المعاشية الملحّة والضرورية التي يسعى الإنسان لتحقيقها، ولكن لا سبيل إلى ذلك!

حتى انّه قد يسلك طريقاً ويقطع أشواطاً كثيرة، إلّا أنّه وفي نهاية المطاف يكتشف خطأ ذلك الطريق الموصل لتحقيق تلك الأماني والتطلّعات.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٥٧.

لذا تتولد عنده رغبة جامحة للتعرف على الطرق الموصلة والسريعة لتحقيق تلك الغايات والأماني.

وهذا ما ترشد إليه الأدعية المستفيضة ـ لا سيما الخاصة منها في شهر رمضان ـ ببيان الطريق الأنجع والأنجح لتحقيق تلك الغايات وكل مايصبو إليه الإنسان، وذلك عبر الاتصال باللامحدود والقادر على كلّ شيء، والذي عنده خزائن السماوات والأرض وهو الله عزّوجلّ.

فهذه الأدعية توضح للعبد الدعاء الذي إذا دعى به ستقضى حوائجه وأمانيه، ثم توضح له الأمور ذات المنفعة الكبرى عليه والواجب الدعاء بها وطلبها من الله عزّ وجلّ، حتى ترفع مستوى طموح الإنسان وأمانيه مما هو ساذج وبسيط إلى ماهو أهم وأنفع.

فعلى سبيل المثال في دعاء الافتتاح يبتدئ العبد دعاءه بالتوجه إلى الله تعالى من خلال باب رحمته وكرمه، وقبل ذلك يتقدم بالثناء عليه ليكون مقدمة وتوطئة لطلب مايريد من هذا الكريم والجواد العظيم.

فتقول:

«اللّهُمَّ إنّي أفْتَتِحُ الثّناءَ بِحَمْدِكَ وَأنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوابِ بِمَنِّكَ، وَأيْقَنْتُ أنَّكَ أنتَ أرْحَمُ الرّاحِمينَ في مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأشَدُّ الْمُعاقِبينَ في مَوْضِعِ النَّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأعْظَمُ الْمُتَجَبِّرينَ في مَوْضِعِ الْكِبْرِياءِ وَالْعَظَمَةِ.

اللّهُمَّ أذِنْتَ لي في دُعائِكَ وَمَسْألَتِكَ، فَاسْمَعْ يا سَميعُ مِدْحَتي،

وَأَجِبْ يا رَحِيمُ دَعْوَتي، وَأَقِلْ يا غَفُورُ عَثْرَتي، ...»[١].

وحتى يرفع الدعاء مستوى حوائج وطموح الإنسان بما يليق بمستوى الكرم الإلهي العظيم، يأتي التأكيد على أكثر الأمور نفعاً وفائدة له حتى لا تقتصر دعوته على الأمور الدنيوية التي لن يغفلها وسوف تتقدم قائمة حوائجه، يأتي هذا الدعاء الذي يستحب المداومة عليه في كل ليلة من ليالي شهر رمضان فتقول في ذيل الدعاء: « **اللّٰهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصَّالِحِينَ فَأَدْخِلْنا، وَفي عِلِّيِّينَ فارْفَعْنا، وَبِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ فاسْقِنا، وَمِنَ الْحُورِ الْعِينِ بِرَحْمَتِكَ فَزَوِّجْنا، وَمِنَ الْوِلْدانِ الْمُخَلَّدِينَ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ فَأَخْدِمْنا، وَمِنْ ثِمارِ الْجَنَّةِ وَلُحُومِ الطَّيْرِ فَأَطْعِمْنا، وَمِنْ ثِيابِ السُّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ فَأَلْبِسْنا، وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَحَجَّ بَيْتِكَ الْحَرامِ، وَقَتْلاً في سَبِيلِكَ فَوَفِّقْ لَنا، وَصالِحِ الدُّعاءِ وَالْمَسْأَلَةِ فَاسْتَجِبْ لَنا، وَإِذا جَمَعْتَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَارْحَمْنا، وَبَراءَةً مِنَ النّارِ فَاكْتُبْ لَنا، وَفي جَهَنَّمَ فَلَا تَغُلَّنا، وَفي عَذابِكَ وَهَوانِكَ فَلَا تَبْتَلِنا، وَمِنَ الزَّقُّومِ وَالضَّرِيعِ فَلا تُطْعِمْنا، وَمَعَ الشَّياطِينَ فَلَا تَجْعَلْنا، وَفي النّارِ عَلىٰ وُجُوهِنا فَلَا تَكْبُبْنا، وَمِنْ ثِيابِ النّارِ وَسَرابِيلِ الْقَطِرانِ فَلا تُلْبِسْنا، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ يا لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ بِحَقِّ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ فَنَجِّنا**»[٢].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٤٢.

كيف تنمّي إرادتك ؟

ما من أحد منا إلا ويشكو ضعف إرادته أمام أهوائه وشهواته وملذاته المحللة منها والمحرمة .

فهل بالإمكان تنمية الإرادة لتتحول إلى سلطان ذي سطوة على الأهواء والشهوات ؟

ثم ماهي الوسيلة التي يتسنى لنا من خلالها بلوغ هذا الهدف ؟

في الإجابة على السؤال الأول نقول :

« إنّ مستوى الإرادة واحد عند جميع الناس ، والقوة والضعف في الإرادة ليس صفة تكوينية أصيلة ، بل هي كسبية ثانوية ينالها الإنسان من خلال ممارسته حياته تماماً ،كالعضلات التي يمتلكها كل فرد منا ، بينما نختلف في قوة هذه العضلات وضعفها بسبب ممارسة الرياضة والتدريب ومحاولة التقوية .

فعضلاتكَ يوم ولدتَ ليست بأقوى من عضلاتي يوم وردتُ إلى الدنيا ، ولكنك لو تعبت على نفسك ومارست رياضة تقوية العضلات بالتمارين ورفع الأوزان الثقيلة وما أشبه ستكون أقوى عضلياً مني

إن لم أمارس وأتدرب مثلك، أليس كذلك؟

وهكذا يكون الأمر في الإرادة النفسية، فالإنسان الذي يحاول ترويض نفسه وتدريب إرادته وممارسة الصمود والإصرار منذ بداية تفتحه ووعيه للحياة... هذا الإنسان تتوفر له إرادة حديدية فيما بعد... عكس الإنسان الذي يعيش على أهوائه ويلبي شهواته ولا يؤذي نفسه بالصبر والصمود...»[(١)].

فإذا أمكن تنمية الإرادة، والتحول من الضعف إلى القوة، فإن مدرسة الصوم هي الوسيلة لبلوغ هذا الهدف.

«حيث إنه يدرب الإنسان على تجنب شهواته برقابة ذاتية، وبذلك ينمي عنده الإرادة، وذلك لأن إرادة الإنسان كأي نعمة أخرى عنده تنمو وتتكامل، كلما انتفع بها الإنسان ومارسها عملياً، والصائم يمارس إرادته ضد شهواته كلما دعته الحاجة إلى الطعام أو الجنس فيرفض تلبية هذه الدعوة بقوة إرادته... وعلى الإنسان أن يربي إرادته ويدربها حتى يستطيع أن يقاوم بها ضغوط الشهوات، والصيام واحد من وسائل تربية وتدريب الإرادة»[(٢)].

فالصوم يقوم بتسهيل هذه العملية، وذلك عبر إضعاف شهوات الإنسان، بقطع الطاقة عنها المتمثلة بالطعام والشراب.

فالطعام والشراب يقومان بتزويد الشهوات بالطاقة والقوة

---

(١) رمضان برنامج رسالي: ٥٩.

(٢) من هدي القرآن ١: ٣٢٩.

مما يجعلها ذات فاعلية ونشاط كبيرين ، وحينما تقطع هذه الطاقة ـ بالصوم ـ يؤدي ذلك إلى ضعفها وشل فاعليتها إلى حد كبير ، مما يعني أن استجابتها لعوامل الإثارة الداخلية والخارجية ستكون محدودة فيتمكن الإنسان من مقاومة أشكال الإثارة والإغراء بيسر وسهولة وتتكرر هذه المقاومة إلى أن تتحول إلى عادة ومن ثم ملكة ، تمكن الإنسان من مقاومة أصعب الظروف وأعنف الضغوط والتحديات الشهوانية ، وفي أصعب وأقسى الحالات الخارجية منها والداخلية .

وبكلمة موجزة : الصوم الذي يعتبر الإرادة الأولى في هذا الطريق يقوم بهدّ البنية التحتية لشهوات الإنسان وأهوائه ، مما يجعل الطريق سالكاً وممهداً لتحكيم سلطان الإرادة .

ومن ثمار مدرسة الصوم أيضاً أنها تورث نوعاً آخر من الإرادات ألا وهي إرادة الصبر والتحدي ، التي يفتقدها الكثير من الناس ، والتي محلها من الإيمان كالرأس من الجسد ، كما ورد في الحديث الشريف .

فقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[(١)] إنّ الصبر : هو الصوم[(٢)] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : « الصوم نصف الصبر » .

وبالصبر والاصطبار يستعد الإنسان لنيل الكمال والسعادة[(٣)] .

---

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) سفينة البحار ٥ : ٢١٣ ، مادة « صوم » .

(٣) مواهب الرحمن ٣ : ٧ .

وعنه ﷺ في خطبته المشهورة: «... **وهو ـ أي شهر رمضان ـ شهر الصبر، وإنّ الصبر ثوابه الجنة...**»[1].

«فالإنسان الصائم فرداً كان أم مجتمعاً عندما يمتنع عن أقرب الضرورات إلى نفسه من أكل وشرب وجماع وغيرها، وهي بين يديه لا تتطلب جهداً ومشقة، فإن هذا الامتناع والكف يولد لديه بالممارسة العملية قوة التحمّل والصبر، وهذه الضرورات تبقى تلح على الإنسان الصائم خلال شهر كامل، وهو لا يستجيب لها، ويقول لها بلسان الحال: لا، وعندما تترسخ وتثبت حالة الرفض والامتناع والكف تتولد الإرادة القوية ويظهر الصبر...»[2].

ولا يجهل أحد منّا كم أن للصبر من أهمية بالغة في تحقيق تطلعات وطموحات الإنسان وأهدافه في الحياة.

فلا يمكن تحقيق تطلع أو طموح ـ ولو كان بسيطاً ـ إلا بالصبر حتى الظفر به، وهذا ما يجعل الناس متفاوتين من حيث العلم والجهل والتميز وعدمه، النجاح والفشل و... والسبب يعود كله إلى الصبر بالنسبة إلى الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه من علم وتميز ونجاح حتى إنّ الله تعالى يعلّق في القرآن الكريم النصر على الأعداء ـ وإن كانوا أكثر عدّة وعتاداً ـ على وجود الصبر.

فمن أراد النصر والغلبة فإنه لا يتحقق له إلا بالصبر والتصبر.

---

(١) ثواب الأعمال: ٩١.

(٢) في مدرسة الصوم: ١٢٩.

يقول تعالى : ﴿ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« لا يعدم الصبور الظفر ، وإن طال به الزمان »[2].

---

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) ميزان الحكمة ٥: ٢٦٢.

موسم العمل والمثابرة

من العادات الحسنة والمهمة التي يكتسبها الإنسان من مدرسة رمضان ، هي التعود على العمل والمثابرة ، وهو يعني انقلاباً على عادة الكسل وحب الراحة التي يتصف بها الكثيرون .

فشهر رمضان موسم للعمل والمثابرة للحصول على أكبر قدر ممكن من الثواب والحسنات ، ونيل الدرجات الرفيعة التي جعلها الله تعالى للعاملين في هذا الشهر الكريم .

وعلى العكس من فهم الكثيرين لشهر رمضان من أنه موسم للكسل والراحة للصائمين جرّاء ما يعانونه من ألم الجوع والعطش ،كما يفهمه من لم يوفق للاطلاع على مقاصد وأهداف وحكم العبادات في الإسلام .

هذا وقد خلّد لنا التاريخ ذكريات عظيمة وصفحات مشرقة لهذا الشهر الفضيل ، حيث سجل فيه المسلمون بقيادة الرسول الأعظم ﷺ أمثلة الجد والاجتهاد في ميادين وساحات المقاومة والجهاد لأعداء الله وأعداء رسوله ، ومع أنهم كانوا صائمين في فصل الصيف الحارّ

المجهد لقوى الإنسان ، إلا أنهم لا يرون في شهر رمضان إلا أنه موسم للعمل والجهاد والمثابرة لذلك انتصروا على أعدائهم .

ففي هذا الشهر الكريم وقعت معركة بدر الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة ، حيث سجل فيها الانتصار الأول والعظيم للإسلام على أعدائه .

وفي هذا الشهر أيضاً كان حفر الخندق ، الذي تحصن به المسلمون لمنع تلك الجيوش الجرارة التي حشدتها قريش من كافة القبائل العربية للقضاء على الرسول والإسلام ، ولكن المسلمين بادروا وحفروا ذلك الخندق الكبير حيث بذلوا في حفره جهداً لا يوصف .

وفي هذا الشهر أيضاً كان فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة ، وبذلك سقطت قلعة الشرك والضلال التي خاض رموزها أعنف وأشد الحروب ضد الإسلام ، وتم للمسلمين النصر في هذا الشهر المبارك نتيجة ما بذلوه من جهد ومثابرة .

وبهذا يتأكد « بما لا مجال للريب أن شهر الله هو شهر العطاء والعمل وليس شهر التهاون والكسل ، وأفضل الناس هو المؤمن العامل . يقول القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[1] .

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في منهجه العظيم :

« لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي . الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ،

---

(١) البيّنة : ٧.

وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ وَالإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ، وَالأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ».

ومعنى هذا أن الإسلام هو العمل، والصوم جزء وأساس من عبادات الإسلام، وهو دعوة صريحة واضحة لعمل الصالحات ...»[(١)].

ولو رجعنا إلى نصوص الشارع المقدس، لوجدنا أن هناك نصوصاً كثيرة تحث وتشحذ همم المؤمنين للجد والاجتهاد والعمل والمثابرة لا سيما في شهر رمضان الذي يكون الثواب فيه مضاعف على كل عمل، صغيراً كان أو كبيراً، الأمر الذي يحفز المؤمنين لبذل كل ما يستطيعون من جهد في سبيل الظفر بأكبر قدر ممكن من الثواب فيه.

فعن النبي ﷺ في حديث طويل قال:

«... **فإن العمل يضاعف في شهر رمضان**»، فقالوا: يا رسول الله كم يضاعف؟ قال: «**أخبرني جبرئيل قال: تضاعف الحسنات بألف ألف، كل حسنة منها أفضل من أُحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾**[(٢)]»[(٣)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا دخل شهر رمضان، فأجهدوا أنفسكم فيه، فإنّ فيه تقسم الأرزاق، وتوقت الآجال، ويكتب وفد الله الذين يفدون عليه، وفيه ليلة القدر التي العمل فيها خير من العمل**

(١) في مدرسة الصوم: ٨٩.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) مستدرك الوسائل ٧: ٤٢٣.

في ألف شهر»(١).

وتـجدر الإشـارة إلى أن الثـواب فـي شـهر رمـضان ، لا يـختص بالأعمال العبادية المعروفة ، كالصلاة وتلاوة القـرآن وقـراءة الأدعـية المندوبة فقط ، بل إنّ كل عمل حسن مطلوب ومرغوب إليه في هذا الشهر الكـريم ، وقـد يكـون ثـوابـه أكـثر مـن ثـواب تـلك العـبادات المستحبة .

ففي الحديث عن النبي ﷺ في الخطبة التي يـرويها عـنه الإمـام الباقر عليه السلام أنّه قال :

«... **وجعل لمن تطوّع فيه** ـ أي في شهر رمضان ـ **بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدّى فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ ، ومن أدّى فريضة مـن فـرائـض الله كـمن أدّى سـبعين فـريضة فـي مـاسواه مـن الشهور»**(٢).

لذلك لا نجانب الصواب إذا ما قلنا : إنّ شهر رمضان ، هو مـوسم الجد والاجتهاد والعمل والمثابرة ، وكـل ذلك لمـا جـعل الله تـعالى للعاملين فيه من ثواب عظيم وأجر جزيل ، والذي أقله العتق من النار والفوز بالجنة ، أما أكثره فهو بسـعة كـرم الله ورحـمته التـي وسـعت كل شيء ، وكفى بذلك حافزاً وباعثاً لنيل كل ذلك .

---

(١) مستدرك الوسائل ٧ : ٤٣٦.

(٢) ثواب الأعمال : ٩٠.

صراع الحق والباطل

سؤال يرد على أذهان البعض : وهو كيف نوفّق بين الروايات الكثيرة التي تتحدث بإسهاب عن مظاهر الرحمة واللطف الإلهي في شهر رمضان ، من تفتح أبواب السماوات ، وغلق أبواب النيران وتزين الجنان ، وتصفيد الشياطين ، وإلى غير ذلك من مظاهر الرحمة الإلهية في هذا الشهر الكريم ، وبين مانراه من مظاهر الفساد ، التي تقوم بالترويج إليها قوى الفساد والانحراف ـ وبالخصوص ـ في هذا الشهر المبارك ، حيث إنّ بعض مظاهر الفساد لا تراها إلا في شهر رمضان ، كالتي تعرض على مئات الفضائيات من أفلام ومسلسلات ومسرحيات وفوازير وبرامج كثيرة لا يمكن إحصاؤها ـ مع ما فيها من ترويج للرذيلة والميوعة والتحلل والانحراف ـ والتي أُعدّت خصيصاً لعرضها في هذا الشهر الكريم .

وإلى نوادي اللهو والمقاهي والديوانيات والمجالس ، والأسواق التي تفتح أبوابها في هذا الشهر لاستقبال روادها ، لغرض قضاء الليالي بالكثير من الأمور المشتملة على الكثير من المحرمات

والمعاصي والآثام.

فكيف يمكن التوفيق بين الكثير من تلك الأخبار التي محصلها أن مادة الفساد والانحراف في هذا الشهر ضعيفة جداً، مع ما نراه من انتشار واسع للفساد والانحراف، وهذا لا يعني إلا إطلاق المزيد من الشياطين فضلاً عن حبس بعضهم!؟ وانفتاح أبواب النيران على مصراعيها فضلاً عن غلق بعضها!؟

نقول في الإجابة على هذا الإشكال:

أولاً: إنّ الروايات التي تحدثت عن الكرم والرحمة الإلهية في هذا الشهر لا يمكن الشك في صحتها ومضمونها، إذ هي بمستوى من العدد والكثرة تصل إلى مستوى التواتر المفيد للقطع واليقين بصدورها عن المعصومين عليهم السلام.

ثانياً: لابد من فهم هذه النصوص فهماً يتناسب مع المبادئ العامة للدين الحنيف.

فلا يعني حبس الشياطين وغلق أبواب النيران أن الشر في شهر رمضان سوف يختفي تماماً عن الواقع بصورة قسرية، ولا يعني أن كوامن الشر عند الإنسان سوف تضمر وتزول، فتكون النتيجة: أن الخيار الوحيد للإنسان هو عمل الطاعات بصورة تلقائية لا اختيار فيها، وهو يعني الجبر الباطل ضرورة من الدين والعقل، وهذا يتعارض مع الحكمة الإلهية في خلق الإنسان لامتحانه بالخير والشر ففي القضاء على أحد الأمرين لا يكون هناك مبرر للاختبار والابتلاء.

وهذا ما أكدت عليه نصوص الشارع وقامت على بطلانه وتفنيده فعن أمير المؤمنين عليه السلام في بطلان الجبر:

« ... لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على مسيء لائمة، ولا لمحسنٍ محمدة ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن... »[1].

وفي حديث آخر يرويه المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال: **« لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين »**.

قلت: ما أمر بين أمرين ؟

قال: **« مثل ذلك فعل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينتهِ، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية »**[2].

لذا وللجمع والتوفيق بين تلك الروايات وهذه الروايات، نقول: إنّ أسباب الخير والرحمة والتوفيق تزداد في شهر رمضان بصورة كبيرة جداً وفي العالمين: عالم الغيب والشهادة.

ففي عالم الغيب يعتق ملايين البشر من النار، وتغفر الذنوب وتكفر السيئات وتقبل التوبة وتتضاعف الحسنات في كل ليلة من لياليه،

---

(١) و (٢) ميزان الحكمة ٢: ٧.

لاسيما في ليلة القدر ، وتكتب آجال وأعمال وأرزاق العباد إلى السنة المقبلة ، وهذا ما أخبر به الرسول ﷺ والمعصومون ﷺ عن الله عزّ وجلّ وهو حقٌّ وصدق.

وأما في عالم الشهادة ، فنجد بعض المؤمنين يوفقون إلى الكثير من العبادات والطاعات وأعمال الخير والبر ، وقد رأيت ذلك بنفسي وسمعت البعض من المؤمنين يتحدث ويخبر عن هذه الحالة في شهر رمضان ، إذ يشعر بحالة من الروحانية والصفاء لا يجدها في غير شهر رمضان ، فيندفع للعبادة من تلاوة القرآن وقراءة الأدعية وأداء الصلوات بخشوع وتضرع ، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، وارتياد مجالس الذكر والعبادة ، وغير ذلك كثير.

وأخيراً نسجل هذه الملاحظة الاجتماعية ، ففي بعض المجتمعات الإسلامية وفي ليلة القدر ـ لا سيما في الليلة الثالثة والعشرين ـ حيث تغص المساجد ودور العبادة بالناس الذين جاءوا لإحياء تلك الليلة المباركة ، وذلك بإقبال منقطع النظير ممن عرفوا بالالتزام والتدين وغيرهم ، ولا شك أن ذلك أحد مظاهر تجلي الرحمة واللطف الإلهي في هذا الشهر العظيم.

الفصل الثالث

التحوّل الاجتماعي

التكافل والمواساة

التواصل

نحو أخلاق حسنة

يتميز شهر رمضان في أغلب المجتمعات الإسلامية ، بجوانب اجتماعية فريدة ـ وبالعكس من بقية الشهور ـ مما يجعله فرصة مميزة للتحول نحو الأفضل ، والقضاء على بعض الظواهر السلبية ، وإيجاد الحلول لبعض الأمراض الاجتماعية ، وكل ذلك لا يقل ثواباً عن العبادات المعروفة .

من هنا جاءت الروايات عن المعصومين ﷺ لكي تعطي لهذا الشهر العظيم أبعاداً اجتماعية عامة ، وحتى لا يحصر في البعد الفردي الضيق .

فشهر رمضان ليس هو شهر الاعتكاف في المساجد والصوامع للعبادة والانقطاع إلى الله بتلاوة القرآن وقراءة الأدعية المندوبة وأداء الصلوات وغيرها من المستحبات ، بل إن هذه العبادات يجب أن تتكامل مع البعد الاجتماعي في هذا الشهر الكريم ، لكي تعطي ثمارها على هذا الصعيد ، وإلا فما فائدة أن يوفق الإنسان إلى ختم القرآن الكريم عدة مرات وقراءة الأدعية وأداء الصلوات وغيرها من

المستحبات في هذا الشهر ، دون أن يتغير في أخلاقه السيئة شيء مع الآخرين ، ودون أن يصل رحمه المقطوع ، ودون أن يمد يد المساعدة والعون للفقراء والمحتاجين ، ودون أن يتورع عن ارتكاب المحرمات والمعاصي والآثام !

من هنا فلابد من إعطاء العبادة في شهر رمضان ـ وبقية أيام السنة ـ مفهوماً شاملاً يستوعب البعدين الفردي والجماعي ، وعليه فإنّه يشكل فرصة جيدة لإحداث تحول اجتماعي نحو الأفضل والأحسن.

ونشير خلال هذا الفصل إلى بعض الأمور ذات البعد الاجتماعي التي حثّ عليها الدين الإسلامي وبالغ في التأكيد عليها ـ لا سيما في هذا الشهر المبارك ـ على أنها من باب المثال لا الحصر.

التكافل والمساواة

إن من أهم الصفات النبيلة التي لا بد أن يتصف بها الإنسان المؤمن ، هي صفة المواساة للآخرين لا سيما الأرحام والأقارب والأصدقاء .

فالمواساة من أنبل الصفات الإنسانية حيث تقوم بإخراج الفرد من سجن الذات والأنانية المقيت إلى فضاء وساحة التفاعل والشعور بالآخرين من أبناء المجتمع المؤمن .

ولا نبالغ إذا قلنا : إنّ المواساة والتكافل من أهم الحلول للكثير من الأزمات والمشاكل الاجتماعية ؛ وذلك لأنها تحوّل بناء المجتمع إلى جسد واحد يقوم بمساعدة بعضه البعض ، عبر ذلك الإحساس العام والجماعي .

وهذا ما حاول الإسلام بناء المجتمع المسلم عليه ، وجعله من أفضل الأعمال ثواباً وجزاءً .

فعن الإمام علي عليه السلام قال : « **المواساة أفضل الأعمال** »[1] .

---

(١) ميزان الحكمة ١٠ : ٤٥٦.

وعن الإمام الصادق ﷺ قال: «**تقربوا إلى الله تعالى بمواساة إخوانكم**»[١].

ويتحقق بذلك الوصول إلى المجتمع الواحد الذي تطلع إليه الإسلام في قول النبي ﷺ: «**مَثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٢].

ويذلك يتم القضاء على الكثير من المشاكل والأزمات الاجتماعية من فقر وتباغض وكراهية وتقاطع وتدابر وغيرها.

وقد جاء التأكيد من قبل الشارع في شهر رمضان، كأحد الأسباب التي يستوجب المؤمن من خلالها الرحمة والغفران الإلهي، وقد وسم هذا الشهر الكريم، بشهر المواساة.

فعن النبي ﷺ في خطبته المشهورة: «**...وهو شهر المواساة...**»[٣].

لكي يحرك ويدفع الناس نحو حملة عامة وشاملة فيه لإعادة هذه الصفة إلى واقعهم، ولتعود على الجميع بالخير والنفع الكثير.

وحتى يقوّي الدين جانب الإحساس بالآخرين، ويهب الناس مندفعين نحو المواساة والتكافل، فرض الله تعالى الصوم ليقوم بدور المنبه الكبير لهذا الإحساس، حيث يشعر الأغنياء بوطأة الجوع يفتت

---

(١) ميزان الحكمة ١٠: ٤٥٦.

(٢) المصدر المتقدّم ٩: ٤٥.

(٣) ثواب الأعمال: ٩١.

أحشاءهم ، فيتذكرون أولئك الفقراء ، الذين هم أبداً بمنزلة الصائمين في الجوع والحرمان ، ومن الأمور المثبتة في علم النفس : أن الرحمة لا تنشأ إلا من الألم »[١].

وهذه أحد حكم فرض الصوم على العباد ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال : « **أما العلة في الصيام ليستوي به الغني والفقير ، وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع ، فيرحم الفقراء ؛ لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه ، فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ، ليرق على الضعيف ويرحم الجائع** »[٢].

وللمواساة والتكافل مفهوم عام ، إذ يشتمل على مصاديق كثيرة فلابد أن ننظر إلى احتياج المجتمع والوضع الذي يعيشه ، ونحن نشير إلى أهم الأمور التي أكد عليها الشارع في خصوص هذا الشهر المبارك ، دون أن نحصر المواساة والتكافل في حدود هذه الأمثلة .

أولاً : المواساة بالعطاء والبذل

بأن يقوم ذوو السعة من الذين أنعم الله عليهم بمواساة الفقراء والمحتاجين ، بأموالهم ؛ إذ الصدقة في هذا الشهر من أفضل الصدقات وأعظمها ثواباً ، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال : « **أفضل الصدقة في رمضان** »[٣].

---

(١) حديث رمضان : ١١٥.

(٢) ميزان الحكمة ٥ : ٤٦٥.

(٣) ميزان الحكمة : ٣٢٨.

وفي خطبته ﷺ المشهورة قال: «... **وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم...**»[١].

ويتضاعف ثواب وأجر الصدقة إذا بذلت لذوي الأرحام والأقارب من الأهل وكذلك الأصدقاء، إذ نجد البعض قد يقوم بمساعدة البعيد دون أن يفكر أو يرد في ذهنه مساعدة القريب، وهذا من المفاهيم الخاطئة ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «... **إن الصدقة على ذي القرابة يضعف أجرها مرتين**»[٢].

وقيل للنبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «**على ذي الرحم الكاشح**»[٣].

وعنه ﷺ: «**أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله**»[٤].

وعنه ﷺ: «**لا صدقة وذو رحم محتاج**»[٥].

وربما يكون هناك ثمة حرج بين المعطي والمحتاج ـ لاسيما بين الأقارب والأرحام ـ إذا ما أراد أحد البذل والعطاء، لذا ورفعاً للحرج لابد من تقديم ذلك العطاء والبذل بعنوان الهدية أو بصورة لا يسبب للمحتاج نوعاً من الذل والانكسار.

ومن الجدير الإشارة إلى أن الهدية أفضل من الصدقة في بعض حالاتها؛ وذلك لأنها تقضي حاجة المحتاج؛ بل تحبب وتقرب

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٥.

(٢ ـ ٥) ميزان الحكمة ٥: ٣٢٨.

وتودد بين الناس.

ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : **« لأن أهدي لأخي المسلم هدية تنفعه أحب إليّ من أن أتصدّق بمثلها »**[١].

فمن الجميل أن يقوم الإنسان صاحب السعة والقدرة المالية بتفقد أرحامه وأقربائه وأصدقائه، في كل وقت، لاسيما في هذا الشهر المبارك ويقوم بإهدائهم ما يراه مقوماً لبعض احتياجاتهم، مع الابتعاد عن عنوان الصدقة ودون أن يحسسهم بجانب الحاجة والضعف عندهم، إذ قد يفسد عنوان الصدقة في بعض الحالات أكثر من أن ينفع، فالبعض يرى هذا العنوان نوعاً من النقص والاحتياج للآخرين وهذا ما يتعارض مع عفته وترفعه عنهم.

ثانياً: تفطير المؤمنين

فقد ورد التأكيد على هذا النوع من التكافل الاجتماعي، الذي يعني المواساة ببذل الطعام، ولا يخص هذا البذل المحتاجين أو الذين لا يملكون قوت يومهم، بل يفهم من الأخبار الواردة في هذا الصدد الشمول والعموم، نعم قد يكون تفطير المحتاجين والذين لا يملكون ما يسد الرمق أعظم ثواباً من غيرهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **« ... ومن فطّر مؤمناً صائماً كان له عند الله بذلك عتق رقبة ومغفرة لذنوبه في مامضى، فقيل له : يارسول الله ليس**

---

(١) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٣٧.

كلنا نقدر على أن نفطّر صائماً ، فقال : إنّ الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر إلاّ على مذقة[1] من لبن يفطر بها صائماً أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك . . .»[2].

وفي خبر آخر : «. . . قيل له : يارسول الله ليس كلنا يقدر على ذلك فقال ﷺ : **اتقوا ولو بشق تمرة ، اتقوا النار ولو بشربة من ماء . . .»**[3].

وهنا نشير إلى أن تفطير المؤمنين ، لا يختص بالطريقة المتعارفة وهي دعوة المؤمنين للإفطار في البيوت والمنازل على الولائم والموائد ، بل يمكن أن يكون لها أشكال مختلفة ومتعددة ، كالطبق الخيري ـ كما في بعض المجتمعات ـ أو التكفل بمؤنة مؤمن طوال أو بعض أيام شهر رمضان ، وكإهداء الطعام بين المؤمنين لاسيما الجيران منهم كما هو متعارف عند بعض المجتمعات ، وإلى غير ذلك من الأشكال التي قد يصدق عليها عنوان تفطير المؤمنين .

ثالثاً : تحسس آلام الآخرين

فالمؤمن في هذا الشهر الفضيل يسعى لكي يخلص نفسه من ألم العذاب الأليم في نار جهنم ، نتيجة لما اقترفه من ذنوب ومعاصٍ وآثام ، وأفضل طريق للخلاص والنجاة من ذلك الخطر العظيم هو تحسس آلام المؤمنين والرحمة لهم ، ولذلك أشكال كثيرة منها :

(١) المذقة : اللبن الممزوج بالماء .

(٢) و (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٩٦ .

أ ـ تحسس آلام الأهل والأرحام والأصدقاء ، ومواساتهم بالكلام الطيب الذي قد يكون البلسم الذي يخفف من معاناتهم ومشاكلهم وأزماتهم ومصائبهم .

ب ـ تحسس آلام الضعفاء والمساكين والفقراء والرحمة والعطف عليهم ممن هم تحت رحمة الإنسان ، كالخدم والعبيد والعمال والموظفين واليتامى والمساكين ، عبر تخفيف عناء العمل والخدمة عنهم ، إن كانوا خدماً وعمّالاً وموظفين ، وبالكلمة الطيبة وإكرامهم إن كانوا يتامى ومساكين ، فكل ذلك من موجبات الرحمة واللطف الإلهي ، ففي الحديث عن النبي ﷺ :

« الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ، إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء »[1] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : **« إرحم من دونك ، يرحمك من فوقك وقس سهوه بسهوك ، ومعصيته لك بمعصيتك لربك ، وفقره إلى رحمتك بفقرك إلى رحمة ربك »**[2] .

هذا وقد ورد التأكيد على الرحمة وتحسس آلام الآخرين في هذا الشهر المبارك ، فعن النبي ﷺ في خطبته المشهورة :

« ... وارحموا صغاركم ... وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم ... ومن خفف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفف الله عليه

---

(١) و (٢) ميزان الحكمة ٤ : ٦٨ .

حسابه... ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه...»[١].

رابعاً: المواساة بالدعاء

فهو أقل ما يمكن فعله لمواساة المؤمنين ومشاركتهم آلامهم ومعاناتهم، كالمرض ومصيبة فقد العزيز والفقر و...

وتعتبر المواساة بالدعاء للمؤمنين، من الأمور التي لها تأثير كبير وبالغ الأهمية في عالم الغيب، وله نفع على الداعي والمدعو له معاً.

ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب يسوق الرزق ويصرف عنه البلاء ويقول له الملك: لك مثلاه»**[٢].

وعنه عليه السلام قال: **«دعاء المؤمن للمؤمن يدفع عنه البلاء ويدرُّ عليه الرزق»**[٣].

هذا وقد وردت بعض الأدعية يدعو بها المؤمن لغيره من المؤمنين، في خصوص شهر رمضان ليتمكن من نيل ثواب المواساة ولو بهذا القدر منها، والتي يستحب الدعاء بها في كل يوم من أيام شهر رمضان، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: **«من دعا بهذا الدعاء في رمضان بعد كل فريضة غفر الله ذنوبه إلى يوم القيامة:**

اللّهُمَّ أَدْخِلْ عَلىٰ أَهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ، اللّهُمَّ اغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ اللّهُمَّ اشْبِعْ كُلَّ جائِعٍ، اللّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيانٍ، اللّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٦.

(٢) و (٣) ميزان الحكمة ٣: ٢٨١.

كُلَّ مَدِينٍ ، اللّٰهُمَّ فَرِّجْ عَنْ كُلِّ مَكْرُوبٍ ، اللّٰهُمَّ رُدَّ كُلَّ غَرِيبٍ ، اللّٰهُمَّ فُكَّ كُلَّ أَسِيرٍ ، اللّٰهُمَّ أَصْلِحْ كُلَّ فاسِدٍ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، اللّٰهُمَّ اشْفِ كُلَّ مَرِيضٍ ، اللّٰهُمَّ سُدَّ فَقْرَنا بِغِناكَ ، اللّٰهُمَّ غَيِّرْ سُوءَ حالِنا بِحُسْنِ حالِكَ اللّٰهُمَّ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنا مِنَ الْفَقْرِ ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[١].

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٥.

التواصل

من الأمراض الخطيرة التي تهدد التوافق الأُسري والاجتماعي مرض (القطيعة)، الذي هو سبب خطير للكثير من الخلافات والأزمات العائلية والاجتماعية.

لذا نجد أن الدين الإسلامي أكد على التواصل والتزاور بين المؤمنين لاسيما ذوو الأرحام منهم، وحذَّر من التقاطع والتدابر بينهم، إذ في ذلك فرصة للشيطان لإثارة الشقاق والبغضاء والكراهية بين المؤمنين في حال سادت القطيعة.

ففي وصية أمير المؤمنين عليه السلام وهو على فراش الموت يؤكد على هذا الأمر المهم، فقال في ما أوصى به: «... **وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ**...»[1].

ولأهمية هذا الأمر الحيوي في حياة الناس الأسرية والاجتماعية فإن الدين الإسلامي لا يحث على صلة من يبادل الآخرين بالصلة

---

(١) نهج البلاغة: وصيّته عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

والزيارة ، بل يؤكد على صلة القاطع أيضاً ، إذ هذه الفجوة هي التي لابد من سدها من جانب أحد الأطراف إذا لم نتمكن من سدها من جانبين .

قال النبي ﷺ : «**صل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك**»[١] .

وأكد الإسلام كثيراً على التزاور ، الذي هو أحد مصاديق الصلة والذي له دور كبير في دفع البغضاء وجلب المحبة والود في قلوب الآخرين .

فعن النبي ﷺ قال : «**الزيارة تنبت المودة**»[٢] .

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال : «**ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده عن زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض . . .**»[٣] .

هذا من حيث الصلة والتزاور بين المؤمنين على وجه العموم التي هي من الأمور المستحبة ، وهناك صلة ، وهي فرض وواجب على كل مؤمن وهي صلة الرحم ، والتي أولاها الإسلام اهتماماً استثنائياً وجعلها من أبرز الصفات والمناقب الإيمانية ، والتي يختل بتركها إيمان الإنسان حينما يتصف (بقطيعة الرحم) بل جُعلت هذه الصفة من الأمور الموجبة للسعادة في الدارين ، وبالعكس في تركها الشقاء كذلك .

---

(١) ميزان الحكمة ٤ : ٨٦ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٩٨ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٩٧ .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **اتَّقُوا الْحالِقَةِ ، فَإنّها تُمِيتُ الرِّجالَ** » ، قلت : وما الحالقة ؟ قال : « **قَطِيعَةُ الرَّحِمِ** »(١) .

كما أن في صلة الرحم ـ علاوة على أنها فرض واجب ـ فوائد كثيرة دنيوية وأخروية ، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال : « **من سره أن يمد الله في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه ، فإنّ الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول : ياربّ صل من وصلني واقطع من قطعني ، فالرجل يسري يسيل خير إذا اتته الرحم التي قطعها فتهوي به أسفل قعر في النار** »(٢) .

ولكي يقطع الإسلام عذر من يقول : إنه مشغول ولا وقت لديه ليصل رحمه ـ كما هو عذر الكثير من الناس ـ أوجب صلة الرحم ولو بالسلام ، باعتبارها أضعف الإيمان ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« **صلوا أرحامكم ولو بالتسليم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ ﴾(٣)** »(٤) .

ولا تختص صلة الرحم بالزيارة ـ كما قد يفهما الكثيرون ـ بل هي أحد أشكال ومصاديق صلة الرحم ، وهناك مصاديق قد تكون أولى وأهم من ذلك وعلى رأسها (كف الأذى عن الأرحام) فعن النبي صلى الله عليه وآله قال : « **صل رحمك ولو بشربة من ماء ، وأفضل ما يوصل به الرحم**

---

(١) و (٢) سفينة البحار ٣: ٣٢٩.

(٣) النساء : ١.

(٤) سفينة البحار ٣: ٣٢٦.

كف الأذى عنها »[1].

ومن مصاديق صلة الرحم أيضاً العطاء والبذل لهم والوقوف معهم مادياً ومعنوياً ، في حال ألمت بهم نائبة أو مشكلة والتي لا يخلو إنسان من ذلك في حياته ، وفي ذلك ثواب عظيم وأجر جزيل .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله قال : **« قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : على ذي الرحم الكاشح »**[2].

وعنه صلى الله عليه وآله قال : **« الصدقة بعشر ، والقرض بثماني عشرة ، وصلة الأخوان بعشرين »**[3].

أي عشر حسنات لمن يتصدق على الفقراء والمساكين ، وثماني عشرة حسنة لمن يقرض أحداً ، وعشرون حسنة لمن يصل إخوانه بالبذل والعطاء ، وهو كما في صريح الرواية أفضل من الصدقة ومن القرض ، وهو أيضاً من الصلة .

هذا وقد ركز الإسلام على أن يكون شهر رمضان فرصة مناسبة للتحول من القطيعة إلى التواصل ، ومن الشقاق إلى الوفاق ، ومن البغضاء إلى المحبة والود بين ذوي الأرحام والأهل ، باعتبار أن قطيعة الرحم من الموانع الكبرى التي تمنع من نيل الرحمة والكرم الإلهي ، لاسيما في هذا الشهر الفضيل .

فعن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل يشير فيه إلى نزول الملائكة في

(١ ـ ٣) سفينة البحار ٣: ٣٢٦.

ليلة القدر ومعهم جبرائيل قال :

«... حتى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر نادى جبرائيل : يامعشر الملائكة ، الرحيل الرحيل ، فيقولون : يا جبرئيل ، فماذا صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ ؟ فيقول : إنّ الله تعالى ، نظر إليهم في هذه الليلة ، فعفا عنهم وغفر لهم ، إلا أربع قال : فقال لهم رسول الله ﷺ : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والقاطع الرحم ، والمشاجن..»[1].

وعنه ﷺ في الخطبة الشعبانية المعروفة : **«... ومن وصل فيه ـ أي في شهر رمضان ـ وصله الله برحمته يوم يلقاه ، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه...»**[2].

---

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٤٢٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٦.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نحو أخلاق حسنة

من الأمور التي تسهم بشكل كبير في إثارة الخلافات والاضطرابات والقلاقل في الوسط الاجتماعي وفي العلاقات بين الناس (سوء الخلق) عند بعض الأفراد.

فهذه الصفة التي تشتمل على الكثير من الصفات المذمومة، من غيبة وسوء ظن ومعاشرة سيئة مع الأهل والجيران والأصدقاء والغضب والتكبر والتجسس والسخرية على الآخرين... كل تلك تقوم بتعكير الصفو الاجتماعي، والتعايش الفطري بين الناس، مما يحوّل المجتمع الإنساني إلى مجتمع الغابة والحيوانات، متصارع ومتنابذ ومتقاتل تسوده الكراهية والبغضاء والحقد، وهذا مما يؤدي إلى الشقاء والتعاسة في ذلك المجتمع.

وبالعكس من ذلك إذا ما سادت الأخلاق الحسنة بين الناس ونبذت تلك السلوكيات الذميمة ورقي إلى أنبل الصفات الإنسانية الحميدة، سوف تضفي أجواء المحبة والود والاحترام والنتيجة سيكون الرخاء والسعادة حليف ذلك المجتمع.

وهذا ما حاولت التعاليم الإسلامية ترسيخه وتعميقه والتأكيد عليه في بناء المجتمع المسلم.

«فالشريعة التي غطت ـ بنصوصها ـ جميع أفعال المكلفين قد أعطت قسماً وافراً من هذه النصوص لموضوع الأخلاق ومكارمها بل إذا نظرنا إلى علاقة هذه النصوص بمكارم الأخلاق ولو بالشكل غير المباشر، لأن من القول بأن جميع النصوص الشرعية تستهدف تهذيب النفس عن شوائب الأخلاق الذميمة، وتربية ما جبلت عليه من أخلاق فاضلة، لقوله ﷺ: **«إنّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق»**.

ومعلوم أن سيادة الملكات الحسنة في النفس، من صبر وعفو ومروءة وإيثار وكرم وأمثالها، وسيادة التعامل بما يرشح من هذه الملكات من تصرفات تناسبها في تعامل المجتمع الإنساني لَهُوَ السعادة في الدنيا والآخرة، وقد بُعث محمّد ﷺ لهداية الناس لها، كما أن سيادة أضداد تلكم الملكات وسيادة ما يرشح من هذه الأضداد من التعامل هو التعاسة في الدنيا والشقاوة وفي الآخرة وقد بُعث محمّد ﷺ ليجنب الناس عنها، ففي الحديث الشريف: **«عليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق، فإن سوء الخلق في النار لا محالة»**[١].

وفي كيفية التعامل مع الآخرين، يقول أمير المؤمنين ﵇

---

(١) تهذيب النفس ٢: ٦٨.

في وصيته لابنه محمّد بن الحنفية : « **وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك ، وارض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك ، وحسّن مع الناس خلقك ، حتى إذا غبت عنهم حنوا إليك ، وإذا مت بكوا عليك ، وقالوا : ﴿ إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . ولا تكن من الذين يقال عند موته ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، واعلم أن رأس العقل بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ ، مداراة الناس ، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته حتى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلا ، فإني وجدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملء مكيال ثلثاه استحسان ، وثلثه تغافل** »[1].

والسؤال : متى وكيف يتسنى للإنسان الوصول لتحقيق هذه الملكة ؟

« فهذه الصفة ـ أعني حسن الخلق ـ من أشد الملكات الحسنة صعوبة على النفس ، إذ طيب الكلام وحسن الجوار والرفق والمداراة وحسن العشرة وما إليها ، كلها تتحمل مسؤولية نفسها ، أما حسن الخلق فإنه يتحمل مسؤولية جميع الصفات »[2].

والجواب : إنّ في شهر رمضان فرصة تحقيق ذلك الهدف النبيل إذ هو ـ وكما أسلفنا ـ فرصة للتحول الفردي والاجتماعي من الواقع السيئ إلى الواقع الحسن ومن الحسن إلى الأحسن .

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٤١.

(٢) الفضيلة الإسلاميّة: ٦٤.

وهذا هو السر في تركيز الشارع على هذا الشهر العظيم، كمناسبة عظيمة للتغيير إلى الأفضل والأحسن.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال:

«أيها الناس: من حسّن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازٌ على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شرَّه كفَّ الله عنه غضبه يوم يلقاه ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه...»(١).

أما الجواب عن كيفية الوصول إلى مكارم الأخلاق وجعله ملكة راسخة في النفس؟

فنقول: يتحقق ذلك على أرضية (عبادة الصوم)، إذ هو الأرضية الخصبة والمناسبة لتغيير الصفات الذميمة إلى صفات حسنة، بل هو المنطلق للتغيير الشامل والكامل في شخصية الإنسان.

ولعل هذا هو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

فالتقوى التي هي الحكمة من الصوم تعني التغيير الشامل والكامل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٦.

(٢) البقرة: ١٨٣.

في شخصية الإنسان ، فالشخصية المتّقية هي الشخصية التي وصلت إلى الكمال والسمو.

وهنا نشير إلى بعض الأخبار التي تربي في النفوس الفضائل وتجتث منها الرذائل وما لا يليق بالإنسان ، وكل ذلك انطلاقاً من عبادة الصوم.

ففي الحديث قيل للنبي ﷺ : إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها ؟ فقال النبي ﷺ : **« لا خير فيها ، هي من أهل النار »**(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : **« إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك ، وعدد أشياء غير هذا »** ، وقال : **« لا يكون يوم صومك كيوم فطرك »**(٢).

وعنه عليه السلام قال : **« إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده »** ثم قال : **« قالت مريم : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً ﴾(٣) ، أي صوماً صمتاً ، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم ، وغضّوا أبصاركم ، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ، قال : وسمع رسول الله ﷺ امرأة تسب جارية لها وهي صائمة ، فدعا رسول الله ﷺ بطعام ، فقال لها : كُلي ، فقالت : إنّي صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ، إنّ الصوم**

---

(١) الفضيلة الإسلاميّة : ٦٦.

(٢) الكافي ٤ : ٨٧.

(٣) مريم : ٢٦.

ليس من الطعام والشراب»[١].

وعنه ﷺ قال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح، ودع المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك»[٢].

وعنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد صالح يُشتم فيقول: إني صائم سلامٌ عليك لا أشتمك كما شتمتني، إلّا قال الرب تبارك وتعالى: استجار عبدي بالصوم من شر عبيدي، قد أجرته من النار»[٣].

(١) و(٢) الكافي ٤: ٨٧.

(٣) المصدر المتقدّم: ٨٨.

الفصل الرابع

التحوّل الثقافي

التثقيف الذاتي

التثقيف العـــامّ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التثقيف الذاتي

سبق أن تحدثنا على أن العبادة في شهر رمضان لا تختص بتلاوة القرآن وأداء الصلوات وقراءة الأدعية المخصوصة في هذا الشهر المبارك، بل للعبادة مفهوم عام، وهو كل طاعة وكل خير وبر يمكن أن يتقرب به إلى الله تعالى.

ومن هذه العبادات ـ بل ومن أهمها ـ طلب العلم والتزود بالثقافة والمعرفة الدينية الصحيحة.

فمع الصفاء الروحي والنفسي والفكري الذي يتميز به شهر رمضان عن بقية الشهور، والذي هو تجلٍّ واضح للرحمة واللطف الإلهي المعبر عنه في الأخبار بتزيّن الجنان، وإغلاق باب النيران، وتفتح أبواب السماء، وتصفيد الشياطين، كل ذلك لابد من استغلاله في سبيل تنمية ثقافتنا ومعارفنا الدينية، من تعلم للأحكام الفقهية ـ التي يبتلى بها غالباً أو يحتمل الابتلاء بها لاحقاً ـ والاطلاع على معارف القرآن الكريم وبصائره والتدبر في آياته ومعانية، وقراءة الكتب الدينية والثقافية النافعة، التي تزيدنا معرفة بأسس ديننا الحنيف، وتعطينا

البصيرة بما يجري من حولنا ، من قضايا ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وإلى غير ذلك...

وغني عن الذكر مدى اهتمام الدين الإسلامي في حث أبنائه على العلم والتعلم وترغيبهم إليه ، باعتباره (دين العلم والمعرفة) وذلك بجعل طلب العلم من أفضل العبادات والقربات عند الله عزّ وجلّ ، وطلبه فريضة على كل مكلف .

ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : **« إن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال وإن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه سيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه »**(١) .

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال : **« لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج »**(٢) .

وفي الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال : **« عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد »**(٣) .

وعن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل يشير فيه إلى مزايا العلم ومحاسنه ، قال : **« طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من أهله ، فإنّ تعلّمه لله حسنة**

---

(١) و (٢) الحقائق في محاسن الأخلاق : ١٢ .

(٣) المصدر المتقدّم : ١٣ .

وطلبه عبادة ، والمذاكرة به تسبيح ، والعمل بـه جـهاد ، وتـعليمه مـن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى ؛ لأنـه مـعالم الحـلال والحرام ، ومنار سبيل الجنة ، والمؤنس في الوحشـة ، والصـاحب فـي الغربة والوحدة ، والمحدّث في الخلوة ، والدليل على السراء والضـراء والسلاح على الأعداء ، والمزيّن عند الأخلاء ، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة ، تقتبس آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى آرائهم ، ترغب الملائكة فـي صـلتهم ، وبأجـنحتهم تـمسحهم ، وفـي صلواتها تبارك عليهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه .

إن العلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضـعف ، يـبلغ بـالعبد مـنازل الأخـيار ومـجالس الأبـرار والدرجـات العـلى فـي الآخـرة والأولى ، الذكـر فـيه يـعدل بـالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الرب ويعبد ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال والحرام ، العلم أمام العمل والعـمل تـابعه ، يـلهم بـه السـعداء ويحرمه الأشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه »[١] .

والأخبار في فضيلة العلم وشرفه أكثر من أن تحصى .

ويتضاعف هذا الاهتمام من قبل الشارع في هـذا الشـهر العـظيم باعتباره شهر الطاعات والقربات .

---

(١) الحقائق في محاسن الأخلاق : ١٣ .

من هنا لابد من جعل هذا الشهر نقطة تحول من الجهل إلى المعرفة والعلم، وذلك بتخصيص وقت للمطالعة و القراءة والتعلم.

ويعني ذلك أن لا نضيع أوقاتنا، في المجالس والديوانيات البطّالة وبرامج الستلايت الجذابة والمغرية التي لا فائدة ترجى منها وكل شيء من شأنه أن يشغلنا عن المطالعة والقراءة والتعلم والاطلاع.

وبما أننا في هذا الشهر المبارك، ركّزنا هذه العادة الحسنة في أنفسنا، فلابد أن تستمر وتتحول إلى عادة ثابتة ودائمة، لا مؤقتة وآنيّة في خصوص هذا الشهر، بل لابد أن تستمر إلى بقية الشهور وطول العمر.

فهذه الصفة وغيرها من الصفات «بحاجة إلى تواصل زمني يمتد إلى ما بعد شهر رمضان، وهذا يتمثل في أن يحمل المؤمنون عاداتهم الحسنة ما بعد رمضان، انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[1]، فإذا أصلح الإنسان نفسه وتهيأ للكمال فليسعَ في المحافظة على ذلك بأن لا يفسد نفسه؛ لأن الفرصة السانحة تمر مرور الكرام»[2].

---

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) شهر رمضان معراج المؤمن: ٣٦.

التثقيف العامّ

تعاني أمّتنا الإسلامية من مشكلة هي أسٌّ وأمٌّ للكثير من المشاكل والأزمات الفرعية، ألا وهي مشكلة (مشكلة التخلف والجهل).

وليس من السهولة بمكان علاج هذه المشكلة التي جثمت على صدر الأُمّة وعلى امتداد قرون غابرة بسهولة ويسر، كما ليس من المستحيل حل وتجاوز هذه المشكلة، إذ الجهل والتخلف ليس حتمية تاريخية وقدراً ثابتاً لا يمكن بحال تجاوزه دون أن يكون هناك سبيل للخروج من نفقه المظلم، وتجاوزه إلى الأفضل والأحسن بل وعلى العكس من ذلك أنّ السنّة الحاكمة في الحياة هي سنّة التغيير والتطور لا سنّة الثوابت والحتميات، ولكن بشرط أن تأخذ المجتمعات بزمام المبادرة والتغيير.

وهذا ما يشير إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1].

---

(١) الرعد: ١١.

كما أنّنا نجد في التاريخ أُمماً كانت تعيش أشد أنواع التخلف والجهل، كأوربا والغرب في القرون الوسطى، حيث كانت تعيش ما يصطلح عليه (عصور الظلام) ولكنها حينما انتفضت ضد هذا الواقع الرديء، وعملت بعزيمة راسخة وبتطلع للأفضل لتخلص نفسها من أوحال ذلك المستنقع، لذا تحقق لها ما تصبو إليه والنتيجة يلمسها الجميع اليوم في ما بات يصطلح عليه (بعصر النهضة، وعصر الحداثة، وما بعد الحداثة) إذ الغرب اليوم هو الأكثر تقدماً وازدهاراً من بين أُمم الأرض.

وهذا التحول ليس قدراً خاصّاً للحضارة الغربية، بل ذلك خاضع إلى سنة (العمل والسعي) فالحياة والتقدم والازدهار لمن يعمل ويسعى، لا لمن يتقاعس ويكسل، وهذا ـ أيضاً ـ ما أكد عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾(٢).

ويقال: إنّ المفكر اليهودي (هرتزل) مؤسس الكيان الصهيوني استفاد من هذه الآية الكريمة في تأسيس ذلك الكيان الغاصب لأرض فلسطين؛ لأنّه اكتشف من خلاله سنّة من سنن الحياة وهي (سنة التغيير والتحول) الذي توصل من خلال الاطلاع، حيث رأى أن

---

(١) النجم: ٣٩.

(٢) النساء: ١٢٣.

الشتات اليهودي في العالم ليس حتمية وقدراً لا يمكن التحول عنه إلى الأفضل ، فهب وسعى إلى أن أسس ذلك الكيان الغاصب .

وكذلك هو الحال بالنسبة إلى تاريخ الأُمّة الإسلامية في الصدر الأول ، فأين كان الناس في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وأين أصبحوا بعد بزوغ شمسه .

فبعد أن كانوا يعيشون على هامش التاريخ دون أن يُدار لهم بالٌ أصبحوا بعد مجي الإسلام صنّاعاً للتاريخ وروّاداً له ، وقادة للعلم والحضارة ، وأمّة لا تضاهيها أمّة ، ولكن لم يكن يتحقق ذلك لولا تلك الجهود الكبرى ، والعمل الدؤوب الذي لا يعرف الملل والكلل .

ولكن ـ وللأسف الشديد ـ بعد أن تراجعت الهمم ، وتضاءلت الجهود ، وتوقف العمل والمثابرة ، أصبحنا في مؤخر ركب الحضارة نقتات على موائد الآخرين العلمية ، ليس لنا من شرف العلم شيء نفخر به بين الأمم ، إلا أمجاد الماضي ، الذي شرفه ليس لنا بل للذين صنعوه .

ولكن ـ ومع هذا الواقع المتأخر ـ ما زال الطريق مفتوحاً أمامنا والأمل لم ينقطع بعد ، لقلب المعادلة وإحداث التحول من جديد إذ لم نصل بعد إلى نهاية التاريخ ، بل هناك من الوقت والأمل ما أن توفرت الهمم العالية والطموح الكبير والجهود المتظافرة والتخطيط السليم ، فسوف يتحقق لنا ـ بمشيئة الله ـ الوصول إلى تحقيق ما نصبو إليه .

ولتكن نقطة الانطلاق في هذا الشهر الكريم ، التي تصب فيه الرحمة الإلهية على العباد أفراداً ومجاميع وأُمماً ، الرحمة التي لا تختص بغفران الذنوب وتكفير السيئات والعتق من النار ، وإجزال الثواب والحسنات ، بل أيضاً تشمل الرحمة الإلهية التفضل بالانتصار على هذا الواقع المتخلف ، للوصول بالأمّة إلى مستقبل مشرق .

وهذا ما يحدثنا به التاريخ ، وذلك في معركة بدر الكبرى حيث تجلّت الرحمة الإلهية بنصر المسلمين ـ في السابع عشر من شهر رمضان ـ على عتاة الكفر والشرك من قريش .

فتحقق النصر الإلهي للنبي ﷺ والمسلمين في معركة مصيرية بالنسبة لمستقبل الإسلام ، وكانت الانعطافة التي رسَّخت جذور الإسلام في نفوس الناس وفي حياتهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾[١] .

وليس هذا الانتصار الوحيد للمسلمين ، الذين تمثلت الرحمة الإلهية فيه بأجلى مظاهرها وصورها ، بل ـ أيضاً ـ تمثلت في معركة

---

(١) آل عمران : ١٢٣ ـ ١٢٧ .

الفتح لمكّة المكرمة ، وكان ذلك الفتح إيذاناً باقتلاع جذور الكفر والشرك بصورة نهائية ، والذي تحقق في شهر رمضان المبارك ـ أيضاً ـ.

قال تعالى في وصف ذلك النصر والفتح العظيم في تاريخ الإسلام : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ .

وإلى الكثير من الانتصارات والتحولات التي تحققت للمسلمين ببركة شهر رمضان ، شهر الرحمة والانتصار واللطف الإلهي .

واليوم تعيش أمتنا الإسلامية ، معركة ليست بأقل من تلك المعارك التي شكلت انعطافة التحول في تاريخ الإسلام ، وهي معركة أمتنا ضد (التخلف والجهل) فلابد أن ننهض ومن خلال الاستفادة من فرصة شهر رمضان وبركاته ، الذي لم ندرك بعد أهميته وأثره في مجال تحقيق الأهداف المنشودة ، وعليه لابد من التخطيط والتفكير في كيفية إحداث التحول انطلاقاً منه .

وأول تلك الخطوات في طريق تحقيق الأهداف ، التخطيط لخلق برامج ثقافية وعلمية تتناسب وحجم تلك المعركة .

فمع أنّ في مجتمعاتنا برامج علمية وثقافية متعددة ومختلفة ولكنها ليست بالمستوى المطلوب والمتناسب مع حجم ذلك الهدف

---

(١) الفتح : ١ ـ ٣.

لاسيما في ظل منافسة قوية من قبل قوى الشر والضلال لحرف شبابنا وفتياتنا وإيقاعهم في مستنقع الرذيلة والفساد، ولتوضيح ذلك نشير إلى بعض النقاط التي نراها مهمة في هذا المجال:

أولاً: إن أكثر البرامج الدينية لا تتضمن رسالة خاصة وهدفاً محدداً، إذ إنّ أكثرها يراد منه البركة والثواب لا أكثر، لذا نراها قليلة التأثير في الواقع الاجتماعي.

فالمجالس الحسينية ـ وعلى سبيل المثال ـ التي هي أكثر البرامج انتشاراً في مجتمعاتنا، لو تأملنا في المادة العلمية والثقافية التي تقدم من خلالها، لوجدنا أكثرها لا يخرج عن إطار العمومات والمبادئ الأولية للتعاليم الدينية.

وبعضها الآخر نرى مواضيعها متفرقة ومتشتتة تفتقر للرابط الموضوعي والسياق الواحد، وهي لا تخرج في الأغلب عن هذه الأقسام الثلاثة:

أ ـ المجالس التي يتحدث الخطيب فيها عن مجموعة أحكام فقهية، كأحكام الصيام، وأحكام الأغسال الثلاثة، وبعض أحكام الصلاة وإلى غير ذلك....

ب ـ المجالس التي يسهب الخطيب فيها بسرد سير المعصومين عليهم السلام دون استخلاص الدروس والعبر منها، وربطها بالواقع المعاش، مع أن سير المعصومين عليهم السلام تحتوي على حلول مهمة وجذرية للكثير من مشاكلنا وأزماتنا اليومية.

ج ـ المجالس التي تدور رحى موضوعها عن مجموعة قصص متكرّرة لا تتضمن ، أو لا توجه لخدمة هدف بعينه .

من هنا فالمنبر الحسيني وباعتباره الوسيلة الإعلامية المهمة وذات التأثير الكبير في مجتمعاتنا ، لابد أن تطرح من خلاله مواضيع وأمور أكثر حساسيةً وإلحاحاً للواقع المعاش ، وذلك حسب الأولويات الاجتماعية ، ومعالجتها على ضوء المبادئ الدينية .

ثانياً : كان البرنامج الديني ـ على تواضعه ـ هو البرنامج المسيطر والوحيد في مجتمعاتنا ، أما اليوم فقد دخلت البرامج الدينية في سباق محموم مع برامج أخرى أهمها : التلفزيون والستلايت والأنترنيت والديوانيات والنوادي ، ذات الإثارة والجذب الشديدين .

ولا عجب أن يكون مثل التلفزيون والستلايت بما يحتويه على المئات من القنوات والفضائيات ، منافساً كبيراً للبرنامج الديني وذلك لما يقدمه من إنتاجات فنية وإعداد رصين في سبيل استقطاب أكبر عدد من المشاهدين .

لذا نلاحظ أنهم يستخدمون أعظم أساليب الإثارة والجذب بطرق مختلفة ومتعددة ، ليتمكنوا من السيطرة على عقول الناس وقلوبهم .

فالمناظر غير المحتشمة للرجال والنساء ، والموسيقى والأغاني التي تجعل المشاهد يسبح في بحر من الوهم والخيال الفاحش والأفلام والمسلسلات والمسرحيات والمسابقات الرمضانية ، التي تجذب الآلاف ومن خلال بذل مئات الألوف من الدولارات . . .

كل ذلك يجعل هذه البرامج في الصدارة والمقدمة ، وطوال أيام وليالي شهر رمضان الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف وعدم تأثير البرامج الدينية .

وكذلك المجالس و(الديوانيات) والمقاهي ، التي تكون الأجواء العامّة لها ، أجواء اللهو واللعب واللامبالاة ، والتي تجتذب الكثير من الناس الذين يبحثون بطبعهم عن أوقات يقضونها دونما تحمل مسؤولية أو واجب تجاه أنفسهم ومجتمعهم .

وكذلك النوادي الرياضية التي تنشط وبصورة كبيرة في شهر رمضان ، بدوراتها الرياضية المختلفة والمتنوعة ، مما تصرف هذا الشهر من طابعه الروحي والأخلاقي ، إلى طابع رياضي بحت وغير موجه .

وهنا لابد من الإشارة إلى أننا لسنا ضد النوادي الرياضية ، بل وعلى العكس الإسلام شجع على الرياضة .

فعن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : « **علّموا أولادكم السباحة والرماية** »[1] .

ولكن نحن ضد أن يتحول شهر رمضان إلى موسم للعب واللهو والدورات الرياضية ، دون أن توجه تلك أو تقنن في إطار معقول ومتناسب مع قداسة هذا الشهر المبارك .

فشهر رمضان شهر الروح قبل الجسد ، وعليه لابد من المحافظة والتركيز على هذا الجانب وقبل كل شيء آخر .

---

(١) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٥.

هذا وبعد كل ذلك فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه : ماهي الطريقة التي نتمكن من خلالها الاستفادة من هذا الشهر الكريم في سبيل إحداث تحول على المستوى الثقافي والفكري في مجتمعاتنا ؟

الجواب : ربما يكون عبر التركيز على هذين الأمرين :

الأوّل : تفعيل البرامج الدينية .

وذلك عبر تطويرها وتنويعها من خلال الاستفادة من خبراء الجذب والاستقطاب ، لتتمكن من منافسة البرامج الأُخرى .

فكما سبقت الإشارة إليه ، أنّ البرامج الأُخرى ـ كبرامج الفضائيات ـ تبذل فيها جهود ضخمة وأموال طائلة في سبيل إنجاحها ، فعلى سبيل المثال : لإنجاز فلم أو مسلسل رمضاني يستغرق العمل فيه شهوراً كثيرة وربما سنوات ، وإلى ميزانية ضخمة تقدر بالملايين ، وكل ذلك في سبيل نجاح هذا الفلم أو المسلسل وإظهاره بشكل متفوق يستحوذ على عقول المشاهدين ، مما يؤهله دخول غمار المنافسة مع غيره من البرامج الفضائية الأُخرى ، التي تعيش هي بدورها في سباق محموم أيضاً مع بعضها البعض .

وعلى العكس من ذلك نجد أن أغلب البرامج الدينية لا تبذل فيها إلا جهود متواضعة وسريعة ، مما يفقدها عنصر الجذب واستقطاب الآخرين .

من هنا لابد أن نبدأ بالتفكير والتحرك في كيفية تطوير وتنويع البرامج الدينية ، لتكون مؤهلة لمنافسة البرامج الأُخرى ولاستقطاب

أكبر عدد ممكن من الناس ، بالطرق العصرية والحديثة التي تجمع بين الفائدة والتسلية ، وإلا تغلبت برامج اللهو واللعب ، واندثرت البرامج الدينية ، مما سيؤدي إلى انتشار الفساد والرذيلة في المجتمعات الإسلامية .

ثانياً : التوجه إلى المراكز ذات التجمعات الكبيرة ؛ وذلك لأجل إدخال البرنامج الديني ضمن برامجها ، فمثلاً نحن لسنا ضد النوادي الرياضية ، وكذلك لسنا ضد المجالس و(الديوانيات) المختلفة ، بل نحن ضد ما تحتويه من أمور محرمة ومحظورة دينياً ، وعليه لابد من التوجه إلى هذه التجمعات الكبيرة من أجل إصلاحها وإدخال البرامج الدينية المختلفة كبرامج أساسية فيها ، من أجل استثمارها في الصالح العام ، وفي هذه الخطوة لابد من التخلص من بعض الأفكار الضيقة وذات الأفق المحدود التي تحصر البرامج الدينية في خصوص الحسينيات والمساجد .

إذ من الحكمة في الدعوة استخدام واستثمار كل ما هو عصري وجديد في طريق خدمة الهدف المنشود ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[١] .

ممّا يعني المرونة والمواكبة لكل ماهو عصري وجديد في سبيل خدمة الأهداف والمثل السامية .

---

(١) النحل : ١٢٥.

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ أمالي الشيخ المفيد / الشيخ المفيد.

٢ ـ بحار الأنوار / العلّامة المجلسي: ط. مؤسسة الوفاء.

٣ ـ بحوث في القرآن الحكيم / السيّد محمّد تقي المدرسي.

٤ ـ تصنيف نهج البلاغة / ناصيف بيضون.

٥ ـ تفسير الأمثل / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٦ ـ تفسير الصافي / الفيض الكاشاني.

٧ ـ التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٨ ـ تفسير مجمع البيان / العلّامة الطبرسي.

٩ ـ تفسير من هدى القرآن / السيّد محمّد تقي المدرسي.

١٠ ـ تفسير مواهب الرحمن / السيد عبد الأعلى السبزواري.

١١ ـ تهذيب النفس / كاظم البهادلي.

١٢ ـ ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق.

١٣ ـ جامع السعادات / الشيخ النراقي.

١٤ ـ حديث رمضان / السيد حسن الشيرازي.

١٥ ـ الحقائق في محاسن الأخلاق / الفيض الكاشاني.
١٦ ـ رمضان برنامج رسالي / الشيخ حسن الصفّار.
١٧ ـ سفينة البحار / الشيخ عباس القمّي.
١٨ ـ شهر رمضان معراج المؤمن / السيّد محمّد تقي المدرسي.
١٩ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق.
٢٠ ـ الفضيلة الإسلامية / السيد محمّد الشيرازي.
٢١ ـ في مدرسة الصوم / هادي الخزرجي.
٢٢ ـ الكافي / الشيخ الكليني.
٢٣ ـ مجلة الثقافة الإسلامية / العدد ٣٠ الملحقية الثقافية الإيرانية ـ دمشق.
٢٤ ـ مستدرك وسائل الشيعة / المحدث النوري. ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
٢٥ ـ مصباح الشريعة / الإمام الصادق عليه السلام.
٢٦ ـ مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمّي.
٢٧ ـ ميزان الحكمة / الشيخ محمّدي الري شهري.
٢٨ ـ نهج البلاغة / الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
٢٩ ـ وسائل الشيعة / الحر العاملي. ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

محتويات الكتاب

الإهداء ٥

المقدّمة ٧

تمهيد

رمضان في القرآن ٩

رمضان في السنّة ١٣

الفصل الأوّل

التحوّل الروحي

هويّة رمضان ١٧

أبواب الرحمة الواسعة ١٩

العلاقة من جديد... .... ٢٣

الرصيد المفتوح ٢٧

نحو مستقبل أفضل ٣٣

العيد لمن أمن الوعيد ٤١

الفصل الثاني
التحوّل التربوي

المدرسة التربوية ٤٧

المنهج التربوي ٥٣

المنهج التربوي في القرآن ٥٥

المنهج التربوي في الدعاء ٦١

كيف تنمّي إرادتك ؟ ٦٩

موسم العمل والمثابرة ٧٥

صراع الحق والباطل ٧٩

الفصل الثالث
التحوّل الاجتماعي

التكافل والمواساة ٨٧

التواصل ٩٧

نحو أخلاق حسنة ١٠٣

الفصل الرابع
التحوّل الثقافي

التثقيف الذاتي ١١١

التثقيف العامّ ١١٥